وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر" بسكرة"

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية–قطب شتمة–

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

العلاقة بين بايلك الشرق و بايات تونس أواخر العهد العثماني

مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر

إعداد الطالب (ة):

إزدهار دربال

إشراف الأستاذ (ة):

د/ مغنية غرداين

السنة الجامعية:2018/2017

شكر وتقدير

الشكر والحمد لله وتعالى الذي وفقني في اتمام هذا العمل أزكى الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

أقدم تشكري الخالص والمليء بالتقدير والاحترام إلى الدكتورة مغنية غرداين التي ساعدتني بنصائحها وتوجيهاتها الرشيدة.

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذتي بقسم العلوم الإنسانية –شعبة التاريخ –وإلى أصدقائي وزملائي الذين ساعدوني من قريب أو من بعيد

قائمة المختصرات

ج	جزء
ط	طبعة
ص	رقم صفحة
تع	تعريب
د ط	دون طبعة
د د ن	دون دار النشر
د ب ن	دون بلد النشر
مج	مجلد
تر	ترجمة
ع	عدد
تح	تحقيق

مقدمة

قسمت الجزائر إداريا في عهد الدولة العثمانية إلى أربع مناطق كل منطقة سميت بالبايلك ، بايلك الغرب كانت عاصمته مازونة ثم معسكر ثم مستغانم ثم وهران و بايلك التطري و عاصمته المدية و دار السلطان و أخيرا بايلك الشرق و عاصمته قسنطينة .

يعتبر بايلك الشرق أكبر بايلكات الايالة من حيث المساحة و السكان فهو يمتد من البحر الأبيض متوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا و من القبائل غربا إلى الحدود التونسية شرقا.

لهذا فإن بايلك الشرق كانت تربطه علاقة مع تونس بحكم الجوار و المصالح المشتركة ، فقد كانت هاتين المنطقتين تواجهان نفس الظروف على مر السنين و تشتركان تقريبا في تاريخ واحد وعقيدة واحدة هي الدين الإسلامي كما جمعت بينهما اللغة العربية و العادات و التقاليد المتعارف عليها منذ القدم ،كل هذه الأمور خلقت بين هذين الإقليمين علاقة .

و هذه العلاقة اتسمت بالود و الصداقة و أحيانا أخرى بالتوتر و المعاداة الذي يصل في بعض الأحيان الى التصادم العسكري بين الطرفين خاصة النزاع على الحدود و أحيانا أخرى توطدت العلاقة في إطار التعاون المتبادل في المجالات الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية.

لذا ارتأينا أن أسلط الضوء حول واقع العلاقة بين الايالة التونسية و الشرق الجزائري فكان موضوع بحثي بعنوان :**العلاقة بين بايلك الشرق و بايات تونس أواخر العهد العثماني** .

حيث تكمن أهمية الموضوع في انه يلقي الضوء بشكل مركز على العلاقة التي تربط بين الشرق الجزائري و تونس خاصة المناطق الواقعة في الحدود و كيف ساهمت هذه الأخيرة في رسم العلاقة بين البلدين .

و لقد شرعنا في انجاز هذا الموضوع انطلاقا من الإشكالية التالية :**ما هي طبيعة العلاقة بين بايلك الشرق و بايات تونس أواخر العهد العثماني؟**

و تندرج تحت هذه الإشكالية جملة من الأسئلة الفرعية :

أ- كيف كانت الأوضاع العامة لتونس و الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني ؟

ب- ما هي الضروف التي جعلت العلاقة بين الشرق الجزائري و تونس ؟

ت- ما هي العوامل التي وحدت الطرفين و العوامل التي فرقت بينهم ؟.

و دفعني لاختيار هدا الموضوع عدة أمور منها :

الأسباب الموضوعية

- توسيع وإثراء الحقل المعرفي الشخصي في هذا المجال
- التطلع إلى جعل هذه الدراسة لبنة تضاف إلى المجهودات المبذولة في البحث التاريخي

الأسباب الذاتية

- التعرف على علاقة الجزائر بالدولة الشقيقة تونس و خاصة علاقتها بالشرق الجزائري
- تحري العوامل و الأسباب التي كانت وراء توتر العلاقات بين البلدين ووصولهما إلى حد الاصطدام في الكثير من المرات و الظروف التي ساقت إلى ودية العلاقة من جديد .

وعلى هذا الأساس تم تقسيم البحث إلى أربع فصول و هي كالأتي :

الفصل الأول هو عبارة عن تعريف بالشرق الجزائري و الأوضاع السائدة فيه أواخر العهد العثماني والذي يحمل عنوان لمحة عامة عن بايلك الشرق أواخر العهد العثماني ،وقد جاء في شكل مبحثين المبحث الأول جاء كلمحة جغرافية عن بايلك الشرق و الذي بدوره يحتوي على ثلاث مطالب .تتحدث عن الموقع الجغرافي للبايلك و المناخ السائد و التركيبة السكانية ،المبحث الثاني يحمل عنوان الأوضاع العامة لبايلك الشرق و يحتوي على أربع

مطالب تتحدث عن الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية في الفترة الأخيرة من الدولة العثمانية .

أما الفصل الثاني فقد جاء كتعريف بتونس أواخر العهد العثماني و أوضاعها ،حيث جاء بعنوان لمحة عن تونس أواخر العهد العثماني و يتكون من مبحثين الأول عن جغرافية تونس و سكانها و المبحث الثاني تناول الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية .

الفصل الثالث فهو يتحدث عن العلاقة الاقتصادية و السياسية التي كانت تربط الشرق الجزائري بتونس و يتكون من مبحثين المبحث الأول يتناول العلاقة الاقتصادية و فيه مطلبين المطلب الأول عنوانه المبادلات التجارية بين تونس و الشرق الجزائري و يندرج تحته عنصرين العنصر الأول يحمل عنوان الصادرات الجزائرية إلى الأسواق التونسية و العنصر الثاني يتناول الصادرات التونسية الى السوق الجزائرية ، أما المطلب الثاني فهو يتحدث عن الوسائل و الطرق التجارية بين الشرق الجزائري و تونس .

أما المبحث الثاني فتناول العلاقة السياسية و يتكون ن ثلاث مطالب ، المطلب الأول بعنوان مشكلة الحدود بين الشق الجزائري و تونس و المطلب الثاني يتحدث عن مظاهر التوتر بين الشرق الجزائري و تونس و يندرج تحته عنصرين العنصر الأول تكلم عن مظاهر التوتر في زمن الأسرة المرادية و العنصر الثاني يتكلم عن مظاهر التوتر في زمن الأسرة الحسينية و المطلب الثالث يتكلم عن مظاهر السلم بين الشرق الجزائري و تونس .

و الفصل الرابع يتحدث عن العلاقة الاجتماعية و الثقافية و يتكون من مبحثين المبحث الأول تناول العلاقة الاجتماعية و يحتوي على ثلاث مطالب ، المطلب الأول يتحدث عن الروابط المشتركة بين الشرق الجزائري و تونس و المطلب الثاني بعنوان القبائل الحدودية

و دورها في رسم العلاقة بين البلدين ، والمطلب الثالث فهو يتحدث عن الهجرة و دورها في رسم واقع العلاقة بين البلدين .

أما المبحث الثاني تناول على العلاقة الثقافية و هو كذلك يتكون من مطلبين ،المطلب الأول تحدث عن الزيارات المتبادلة بين العلماء التونسيين و العلماء الجزائريين و فيه عنصرين العنصر الأول تحت عنوان علماء قسنطينة المتتلمذين في تونس ، العنصر الثاني تحت عنوان علماء تونس المتتلمذين في قسنطينة و المطلب الثاني و هو الطرق الصوفية و دورها في توثيق العلاقة بين البلدين .

و انطلاقا من طبيعة الموضوع المدروس في هذه المذكرة يتوجب علينا يتوجب علينا إتباع المنهج الخاص بالدراسات التاريخية و هو المنهج التاريخي لأننا ندرس فترة مهمة من تاريخ البلدين هي أواخر العهد العثماني، بالإضافة إلى المنهج الوصفي الذي يصف الاوضاع السائدة في البلدين في تلك الفترة و وصف المناوشات و الحروب التي كانت تحدث بين البلدين بما فيها من وقائع و أحداث.

و قد اعتمدت على مجموعة من المصادر و المراجع و المتمثلة في كتاب فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة أو تاريخ قسنطينة للكاتب محمد الصالح بن العنتري الذي أفادني كثيرا في كل الفصول تقريبا فهو يصف بايلك الشرق في جمع الجوانب الجغرافية و السياسية كذلك كتابه مجاعات قسنطينة الذي تناول الحالة الاقتصادية و الاجتماعية .

بالإضافة إلى كتاب تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي للكاتب أوجين فايست و من تعريب صالح نور و الذي تناول تاريخ بايات قسنطينة بداية من صالح باي و انتهاء بأحمد باي بالتفصيل ، كذلك كتاب المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس لابن دينار أو أبو عبد الله القيرواني و الذي أفادني في معرفة أخبار مدينة تونس و جغرافيتها و كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان و الذي ساعدني في معرفة علماء تونس و علاقتهم بقسنطينة.

أما بالنسبة للمراجع فقد استعنت بالعديد من الكتب منها علاقة بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني للكاتب اعمراوي أحميدة و أفادني تقريبا في كل الفصول و كتاب

التجارة الخارجية للشرق الجزائري للعربي الزبيري و الذي تناول الجانب الاقتصادي لبايلك الشرق و علاقته بتونس كذلك كتاب تاريخ تونس لمحمد الهادي الشريف الذي يتحدث عن تاريخ تونس بمن كل الجوانب و كتاب سياسة حمودا باشا في تونس للكاتب رشاد الإمام الذي أفادي في معرفة الحياة السياسية لتونس.

و من الدراسات السابقة المعتمد عليها :

مذكرة الماجستير التي أعدتها فلة القشاعي و التي كانت بعنوان النظام الضريبي بالريف القسنطيني و التي تتضمن دراسة لبايلك الشرق بصفة عامة و كل ما يتعلق بالنظام الضريبي بالإضافة إلى مذكرة عبد الرزاق قشوان و التي بعنوان السلطة المحلية في بايلك قسنطينة و التي تتحدث عن أهم السلطات في بايلك الشرق و دور القبائل كوحدة سياسية و اجتماعية في تفعيل و تطور الأحداث.

و نلاحظ من خلال هذه الدراسات أنهم لم يتحدثوا عن العلاقة التي كانت تربط بين البايلك بالدولة التونسية و على حد علمي ان هذا الموضوع لم يقم احد بدراسته لهذا ارتأيت أن ابحث فيه .

و من الطبيعي ان اعداد اي بحث علمي لا يخلوا من مصاعب تعرقل العمل الاكاديمي فقد واجهتني مجموعة من الصعوبات منها :

- عدم توفر المصادر التي تختص في الموضوع و عن بايلك الشرق بصفة خاصة فمعضم المراجع تتحدث عن الجزائر بصفة عامة
- ضيق الوقت و هذا راجع الى عملية البحث في المادة العلمية

الفصل الأول:لمحة عامة عن بايلك الشرق أواخر العهد العثماني

المبحث الأول : لمحة جغرافية عن بايلك الشرق

المطلب الأول :الموقع الجغرافي لبايلك الشرق

المطلب الثاني :المناخ السائد في بايلك الشرق

المطلب الثالث: التركيبة السكانية لبايلك الشرق.

المبحث الثاني :الأوضاع العامة لبايلك الشرق.

المطلب الأول :الأوضاع السياسية

المطلب الثاني :الأوضاع الاقتصادية

المطلب الثالث :الأوضاع الاجتماعية

المطلب الرابع: الأوضاع الثقافية.

المطلب الأول :الموقع الجغرافي لبايلك الشرق

من الصعب جدا إعطاء تحديد جغرافي لبايلك الشرق أثناء فترة العثمانيين حيث لم تكن ثابتة و مرسومة خاصة من الجهة الشرقية مع تونس فهي لم تكن ثابتة قبل عام1628 [1].

لكن يمكن إعطاء وصف تقريبي لحدود البايلك حيث يعد إقليم بايلك الشرق من أكثر أقاليم الجزائر ثروة و خصوبة و أوسعها مساحة ،و منه فان بايلك الشرق يشتمل الرقعة التي تمتد من البحر الأبيض شمالا إلى ما وراء بسكرة و وواد سوف في حوض ريغ[2] ،و من الجنوب الصحراء و يلحق به مدينة ورقلة[3] ،أما غربا فتحده جبال البيبان و سفاح جبال جرجرة.

لذا فان بايلك الشرق يحتوي في إقليمه على جبال البيبان و حوض وادي الصومام و جبال البابور و قسنطينة و عنابة و سوق أهراس و على السهول العليا و كتلة جبال الأوراس ،و تبسة و جبال الحضنة وجبال الزيبان و واحات سوف و وادي ريغ و واحات الشمالية الشرقية و على رأسها بسكرة ،تقرت و ورقلة بل و حتى واحات وادي ميزاب بوادي الشكبة[4].

---

[1] حميدة اعمراوي :علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال ،دار البعث ،الجزائر ،2002،ص19.

[2] محمد الصالح بن العنتري :فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها ،مر:يحي بوعزيز ،دار هومة ، الجزائر ،2007،ص25.

[3] نصر الدين سعدوني : الشرق الجزائري –بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني و بداية الاحتلال ،ط2،البصائر ، الجزائر ،دت ،147.

[4] محمد الصالح بن العنتري :مصدر سابق ،ص25.

المطلب الثاني_:المناخ السائد في بايلك الشرق .

لقد جعلت الشروط المناخية و الجغرافية من الشرق الجزائري إقليما متميزا فهو من أكثر أقاليم الإيالة الجزائرية ثروة و خصوبة و من أوسعها مساحة [1] ، فهو يتألف من عدة مناطق مختلفة في مناخها حيث يضم كل من المناطق الساحلية مرور بالهضاب العليا لينتهي بالصحراء [2] لذلك يظهر هذا الاختلاف في كل من المناطق التالية :

المنطقة الساحلية :تعتبر تجمع جبلي على شكل سلسلتين توازيان الساحل كما يتخلل هذا التجمع بعض السهول[3]، حيث تبدأ من نواحي بجاية و انتهاء بالقالة و هي في قسمها الغربي أكثر ارتفاعا و قربا من البحر من جانبها الشرقي و تتصف هذه المنطقة بالمناخ المعتدل في درجة حرارة حيث يقدر معدلها °15كذلك نسبة التساقط كانت مرتفعة ،حيث يزيد عن 700مم و قد يصل في المناطق الجبلية إلى 1000مم كما هو عليه الحال في نواحي القل و القالة و مرتفعات جبال البابور.

فاعتدال المناخ و ارتفاعه و نسبة التساقط هي الميزة الأساسية لهذه المنطقة مما ساعد إلى حد كبير على وجود غطاء نباتي كثيف بشكل خاص في غابات الفلين[4] .

منطقة الهضاب العليا : تتميز هذه المنطقة بأنها ضيقة إلى الغرب إلا أنها تتسع كلما توجهنا نحو الشرق و تتكون في معظمها من سهول مرتفعة توجد بها جبال متوسطة الارتفاع يبلغ طولها ما بين 900م إلى 1400م.

---

[1] نصر الدين سعدوني : الشرق الجزائري ،مرجع سابق،ص147،

[2] فلة القشاعي :النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771 1837،أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر ،1990 0،ص3

[3] بوعزيز بوضرساية :الحاج احمد باي في الشرق الجزائري –رجل دولة و مقاوم 1830 1848،دار الحكمة ،الجزائر ، 2010،ص14.

[4] فلة القشاعي : مرجع سابق ،ص3.

تتميز هذه المنطقة بقلة أمطارها وعدم انتظامها إذا ما قورنت بالمنطقة الساحلية إذ تتراوح نسبة التساقط مابين 400.800مم و هذا أدى إلى فقر في الغطاء النباتي.

المنطقة الجنوبية أو شبه الجنوبية : فهي تشكل من السلاسل الجبلية متصلة تمتد من الغرب إلى الشرق تبدأ من جبال الحضنة التي تشرق في جهاتها الجنوبية على الهضاب العليا ،حيث تتميز هذه المنطقة بمعدل مرتفع نسبيا من الأمطار إذ تتراوح ما بين 500و 800 مم [1].

المنطقة الصحراوية: تشمل على الصحراء الشرقية المعروفة بجفافها وارتفاع درجة حرارتها التي تصل في بعض الأحيان إلى °55 في الضل حيث تتميز هذه المنطقة بقلة أمطارها التي تكاد تنعدم في بعض الجهات كذالك بهبوب الرياح الحارة التي تسبب في الغالب عواصف رملية شديدة هذا ما جعل الغطاء النباتي لهذه المنطقة تكاد منعدمة[2]

المطلب الثالث :التركيبة السكانية لبايلك الشرق.

يشتمل بايلك الشرق على عدة نواحي كبيرة على رأس منها كل قائد يرعى شؤونها حيث إن حكام هذه النواحي إما قيادا يخضعون لأوامر شيوخ العشائر أو من الشيوخ الكبار مثل شيخ العرب أو من كبار موظفين البايلك وهم يختارون حسب رغبة الباي ،أما القبيلة أو العرش[3] تكون مسيرة من طرف أحد القياد و هي عبارة عن مجموعات صغيرة من السكان تعرف بالخروبة تكون على رأسها أحد الشيوخ و تنقسم الخروبة بدورها إلى دواوير [4].

أما تصنيف سكان البايلك حسب أصولهم فهم من العرب و القبائل و الشاوية

[1] فلة القشاعي :مرجع سابق ،ص4

[2] فلة القشاعي : مرجع نفسه،ص6.

[3] العرش : أو العروش و معناه بالشمال الإفريقي القبيلة .ينظر :رشاد الإمام : سياسة حمودا باشا في تونس ،منشورات الجامعة التونسية ،1980،ص56.

[4] نصر الدين سعدوني : الشرق الجزائري ..،مرجع سابق،ص151.

والترك و اليهود و يحكمهم قواد و شيوخ يخضعون للباي مباشرة أو بعض حلفائه الذين يساعدهم الكتاب و المكاحلجية و يبلغ عددهم حوالي 35شيخا[1].

القبائل و تختلف عن باقي سكان عرب البايلك من حيث لغتها وإنما من حيث عاداتها و أسلوب معيشتها و هم يعتبرون السكان الأصليون للبلاد وقد حافظوا على استقلالهم ضد الفاتحين من عرب و الترك باللجوء إلى المناطق الجبلية و قد تمكن القبائل من استرجاع جزء من ممتلكاتهم القديمة تدريجيا إذ كلما تكاثر عددهم دفعوا أمامهم السكان العرب في حوز قالمة و عنابة و مقاطعة الجزائر و أقاموا في القرى المداشير بوادي الخصيب، كما تتميز القبائل عن غيرهم إنهم يميلون إلى الاستقلال و الحكم و يفضلون السكن في المنازل و يعرفون صناعة النحاس و الحديد و الأسلحة و البارود كما كانوا ينسجون الصوف و الأغطية و البرانس الرفيعة[2].

كذلك هناك اليهود الذين كانوا في فترة حكم البايات يخضعون لقائد يعرف بالمقدم يكلف بجمع الضرائب و الرسوم المطالبين بها ، اشتهر اليهود بعمليات السمسرة و القيام بدور الوسيط في كل المعاملات التجارية إلى درجة انه أصبح من الصعب على أي عربي أن يبيع دجاجتين بدون وساطة مأجورة من احد اليهود [3]

العرب وهم العرب البدو الذين يسكنون الخيام تتألف كل ثروتهم من قطعان المواشي فهم لا يفلحون الأرض إلا بقدر ما تضطرهم الحاجة الماسة والعرب ينقسمون إلى عرب شاوية الذين يتميزون عن العرب باللغة الخاصة التي يمتلكونها حيث تكون مواطنهم جبل قريون و نيف النسر أما عشائرهم ببايلك الشرق فهم الحراكتة

[1] محمد الصالح بن العنتري :فريدة منسية .، مصدر سابق ،ص19

[2] نصر الدين سعدوني :الشرق الجزائري...،مرجع سابق ص151.

[3] عمار بوحوش :التاريخ السياسي للجزائر من البداية و الى غاية 1962،دار الغرب الإسلامي ،1997،ص73،

عبد النور،التلاغمة ،أولاد سالم ،أولاد الأخضر ،أولاد عزيز ،عساوة و يضاف إلى هذه المواطن منطقة الأوراس .

الترك و هم العنصر الحاكم للبلاد و عددهم قليل ببايلك الشرق و قد كانوا يؤلفون فرق الجيش و يقدمون خدمات مفيدة [1] أما بالنسبة لعدد سكان بايلك الشرق خلال الفترة العثمانية فيمكن القول انه بالرغم من الدراسات التي تحدثت عن هذا الإقليم قليلة إلا أن فيها مبالغة حيث يقول ميبلسي أن عدد سكان الشرق الجزائري في أواخر العهد العثماني بلغ المليون و النصف نسمة ، في حين يقول حسونة الدغيس أن عدد سكان الشرق الجزائري بلغ أربعة ملايين و ثمان مئة ألف نسمة ،بينما ذهب باكون والى القول أن عدد سكان الجزائر كلها لم تبلغ ثلاثة ملاين نسمة على خلاف حمدان خوجة [2]الذي قال إن سكان الجزائر كلها بلغ ستة ملاين و ثماني مئة ألف، و هي الأقوال التي تتأكد من خلالها المبالغة مثل ما قال عبد الجليل التميمي في بحثه و الذي توصل إلى نتيجة هامة و تراها مطابقة للواقع آنذاك و هي إن عدد سكان الشرق الجزائري كان حوالي مليون و مئة و واحد وثلاثين ألف و هو العدد الموزع على سكان الريف و المدينة معا[3].

حيث كان القبائل و فروعها تشكل معظم سكان الشرق الجزائري و كان يحكم هذه القبائل شيوخ و يبلغ عددهم حوالي 35 شيخ و قائد و حاكما نذكر منهم شيخ

[1] نصر الدين سعيدوني ، الشرق الجزائري...،مرجع سابق،ص153.

[2] حمدان خوجة : هو حمدان بن عثمان خوجة كاتب و سياسي من رواد الحركة الوطنية الجزائرية ،اشتغل بالتأليف و الترجمة . انظر:عادل نويهض :معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام و حتى الوقت المعاصر ، مؤسسة نويهض الثقافية،لبنان ،1980 ،ص132.

[3] اعمراوي أحميدة : علاقة..،مرجع سابق ،ص15.

لحنانشة و تحته اثنا عشر قبيلة ، شيخ العرب بالزاب [1]و تحته احدى عشر قبيلة من البدو الرحل ،قائد الحراكتة ،قائد الأوراس ،قائد سكيكدة،و قائد الرواغة و قائد تبسة[2].

المبحث الثاني :الاوضاع العامة لبايلك الشرق اواخر العه العثماني

المطلب الأول :الوضع السياسي لبايلك الشرق .

أولا : الجهاز الإداري لبايلك الشرق .

يخضع بايلك قسنطينة لسلطة الداي في الجزائر و يتولى حكم البايلك الباي و مجموعة من الموظفين [3]حيث تكون إدارة تسهر على راحة الباي و نظام البايلك في المدينة و الإطراف يمكن أن نميز هذا الجهاز ببعض الموظفين منهم :

ديوان الأوجاق[4]: حيث يتألف من رجال المخزن و أعضاء الحكومة الذين يحيطون بالباي و يشاركونه في إدارة البايلك و يحتفظون بالسلطات العليا إلى جانبه و يتصلون به بصفة مباشرة و يشتركون معه في اتخاذ القرار و هم :

الخليفة : و هو المسئول عن شؤون الأوطان و الأقاليم التابعة للبايلك و يخضع له قواد و رجال المليشيا و يتولى إخضاع السكان لحكومة البايلك[5]، وعادة ما يحصل على هذا المنصب احد أقرباء الباي [6].

---

[1] الزاب و هي كلمة بربرية معناها السيخة و الزاب هو إقليم في بلاد الجزائر حيث أطلق اسم الزان و الزيبان على المنطقة التي حول بسكرة و هو سهل منبسط يتلاشى شيئا فشيئا في الجنوب حتى يندرج في الصحراء . ينظر :عبد الحليم صيد : أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة ،جامع الكتاب ،واد سوف ،الجزائر ،2000،ص4 5.

[2] محمد الصالح بن العنتري : فريدة منسية ،مرجع سابق ،ص54.

[3] نصر الدين سعدوني :الشرق الجزائري ... ،مرجع سابق ،ص142.

[4] الأوجاق :هي كلمة تركية تعني مجموعة من الجنود يجتمعون في مكان لتناول الشاي فتطورت هذه الكلمة إلى أن صارت تطلق على طبقة الحكام الأتراك .انظر : عمراوي أحميدة :دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1830 1827،ط2،دار العثمانية ، الجزائر ،2012،ص32.

[5] محمد الصالح بن العنتري :مرج سابق ،ص19.

[6] Abdeljalil Temimi :le beylik de Constantine haje Ahmed 1830 1837 ،publication de la revue de histoire maghrèbine vol 1، 1971،p7.

قائد الدار: و هو بمثابة شيخ البلدية [1] يعتبر المتصرف في الشؤون المدنية و الواسطة

بين سكانها و موظفي البايلك و يتكلف باستقبال الشخصيات السياسية[2].

الأغا[3]: تعود إليه قيادة الفرق العسكرية ببايلك قسنطينة .

الخزندار: مكلف بتسليم كل الثروات و الأموال المستخلصة من منتجات الضرائب بالبايلك و كان يخضع لأوامره الباش كاتب الذي يلتحق به كاتبان آخران هما الثاني و الثالث [4]و كان الباش كاتب مكلف بالإشراف على تحرير و تصليح البرقيات و رسائل الباي و كل ما يتصل بشؤون السياسية للبايلك[5].

ثانيا : الموظفين الذين لا تربطهم علاقة مباشرة بالباي.

أغا الصبايحية : و هو المسؤول عن الصبايحية و الشواش الذين يقومون بدور المساعدين.

شاوش محلة الشتاء :مكلف بتوزيع ما يحتاج إليه جنود المحلة من المؤن و الأغذية و الخيام و الأخشاب التي يتوصل بها من قائد الدار مباشرة .

باش العلم :هو الذي يحمل العلم أمام الباي عند خروجه في مهمة .

باش الطبل :هو رئيس الطبول التي تظرب و تدق في حالات الحرب و السلام .

---

[1] محمد صالح بن العنتري :فريدة منسية ، مرجع سابق ،ص20

[2] جمال يحياوي : تاريخ قسنطينة من خلال مجلة الأصالة –أحداث و أماكن بالشرق الجزائري،ج1،منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ،الجزائر ،2015،ص35.

[3] الأغا :مفرد جمعه أغوات و هي كلمة تركية محرفة عن أصلها الفارسي أقا أو أفا و هي تعني الأب أو العم أو الأخ الأكبر و تأتي بمعنى السيد الآمر و استعملها الأتراك العثمانيون لدلالات كثيرة .انظر : مصطفى عبد الكريم الخطيب :معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية ،مؤسسة الرسالة للنشر ،بيروت ،1996،ص11.

[4] جمال يحياوي :مرجع سابق ،ص 35.

[5] محمد الصالح بن العنتري : فريدة منسية ...،مرجع سابق ،ص 11.

باش مكاحلجي :هو رئيس الحرس المتعلق بأمان الباي الخاص.

باش خزناجي : يسخر لحراسة قوافل المحلة التي تستخلص للضرائب .

باش مانفا :هو مسؤول عن أعداد و تقديم البغال و الأحصنة للقافلة التي يقودها بغارة مفاجئة[1].

ثالثا : موظفو قصر الباي .

قائد المقصورة: و هو حاجب الباي يحرص على الاعتناء بمسكن الباي الخاص .**قائد السبسي** : هو حامل غليون الباي.

قائد الطاسة: مكلف بحمل الآنية و تحضير ما يتناوله الباي من مشروبات[2]

باش قهواجي : يقوم بإعداد القهوة و تقديمها للباي و ضيوفه .

باش فراش : يتكلف بفراش قاعات القصر[3] .

رابعا : التقسيمات الإدارية لبايلك الشرق :

قسم بايلك قسنطينة إلى أربعة أقسام كل منها حاكم مستقل يخضع مباشر لباي قسنطيينة هي :

القسم الشرقي: و يشمل مواطن لحنانشة ووادي الزناتي و شمالي عامر الشراقة و من ابرز زعمائه أحرار الحنانشة .

القسم الشمالي: الذي يمتد من عنابة إلى بجاية من ابرز زعمائه أولاد بن عاشور في فرجيوة و أولاد بن عز الدين في الرواغة .

---

[1] مصطفى عبيد :محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ،كلية العلوم الإنسانية ،جامعة لمسيلة ،الجزائر ،دت،ص 23.

[2] جمال يحياوي :مرجع سابق ،ص 36.

[3] محمد الصالح بن العنتري ، فريدة منسية ...،مصدر سابق ،ص 22.

القسم الغربي: يمتد من سطيف إلى جبال البيبان و قرى بني منصور و من ابرز زعمائه أولاد مقران .

القسم الجنوبي : من أهم زعمائه أولاد بن قانة[1] و الدواودة[2] .

خامسا:الحالة العسكرية :

لقد كان البايلك قوة عسكرية هامة تتكون من :

المليشيا :و هو جنود يولداش [3]يجندون من الاتراك و بعض الكراغلة و من مهامهم حماية المدينة.

قوات قبائل المخزن :هي القوات المساعدة للمليشيا و تعود قوات غير نظامية شملت كل القوات المحلية ،وقد استعان النظام العثماني بالقبائل المسيطرة مثل الدواودة و الحناشة التي كانت تكون الفرسان لعسكر البايلك كما اعتمد على غيرها .

فرقة الزواوة :هي فرق متطوعة محلية تكون من المجندين من قبيلة زواوة [4].

و قد تألفت القوة العسكرية من حوالي 45000رجل موزعة على النحو التالي :

22000عنصر من المشاة و 23000عنصر من الفرسان و الخيالة .

- **أهم النوبات في بايلك قسنطينة .**

نوبة قسنطينة وعدد أفرادها 73عسكريا .

---

[1] ابن قانة : عائلة كبيرة أنجبت شيوخ العرب وساعدها بايات قسنطينة على الحفاظ بهذا المركز العظيم . انظر: أوجين فايست :تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي ،1792 1873،تع صالح نور ،تق:الشيخ عبد الرحمان شيبان ،دار القرطبة ،الجزائر ،2010،ص287.

[2] عبد الرزاق قشوان: السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (963 1253ه/1592 1837)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر 2009،2 2010،ص43 44.

[3] اليولداش : هي المتكونة من الجيش البري ، حيث ينحدر هؤلاء من أصل تركي . انظر: عمار بوحوش ،مرجع سابق ،ص56.

[4] رياض بولحبال : أخبار بلد قسنطينة و حكامها (دراسة و تحقيق)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العليا ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة قسنطينة ،الجزائر ،2009 2010.ص26 27.

نوبة عنابة و عدد أفرادها 71عسكريا .

نوبة بسكرة و عدد أفرادها 44عسكريا .

نوبة بجاية و عدد أفرادها 72عسكريا .

نوبة تبسة و عدد أفرادها 29عسكريا .

نوبة جيجل و عدد أفرادها 29عسكريا .

نوبة برج حمزة وعدد أفرادها 15عسكريا[1] .

سادسا : الحالة السياسية وسلطة البايات في بايلك الشرق .

عرف بايلك قسنطينة كغيره من المقاطعات الجزائر في أواخر العهد العثماني حكاما منهم من تميز بحسن السلوك و كفاءة التسيير فحاولوا المحافظة على المصالح العامة للدولة و ليتكفل برعاية السكان و التخفيف من شقائهم مثل صالح باي (1792-1771)و الحاج مصطفى انجليز[2] (1798-1808)و نعمان باي و غيره و منهم من عرف بالقهر والاستبداد و البطش و سوء التسيير ،فاضر سكان المدن و البوادي على حد سواء و كان سببا في أو فقار الخزينة .

و الإضرار بعلاقة الأهالي ،مثل مصطفى شاوش الوزناجي[3] لمتعامل مع اليهود و احمد شاوش القبايلي[4] .

فالشرق الجزائري تداول في حكمه العديد من البايات أواخر العهد العثماني بداية بصالح باي (1792-1771)الذي كان له تأثير كبير على البايلك فهو تميز عن غيره

[1] عبد الرزاق قشوان : مرجع سابق ،ص53.

[2] انجليز : سمى انجليز لأنه عندما كان شابا أسرته سفينة انجليزية فقضى عشرة أو اثنا عشر سنة في انجلترا و هناك رواية ثانية تقول انه سمي هكذا لطبعه الماكر الذي يشبه مكر الانجليز .ينظر :أوجيت فايست:مرجع سابق ،ص101.

[3] الوزناجي : بمعنى صانع المتفجرات سمى بها تذكار لمهنته السابقة .ينظر :أوجيت فايست :مصدر سابق ،ص25.

[4] فلة القشاعي : مرجع سابق ،ص 36.

بأعماله الحربية و اشتهر بمآثر عمرانية كنا عرف بإصلاحات اجتماعية و خدماته الثقافية .

فحكم صالح باي تميز بفترتين مختلفتين أولها اظهر فيها العدل و الإنصاف و عرف إثناءها كيف يحافظ على تأيد أعيان البلاد و مساندة الشيوخ و القبائل ،أما الفترة الثانية و هي السنوات الأخيرة من حكمه فانه تحول عن سيرته الأولى حيث استبد برأيه و لم يرفق بالرعية حتى انه بالغ في مطالبه المالية ة زاد في الضرائب [1]

كذلك تولى بعده جملة من البايات منهم إبراهيم باي الذي دام حكمه ثلاث أيام حيث توفي على يد صالح باي ، و حسن باي بوحنك (1792-1795)و مصطفى الوجناجي ،الحاج مصطفى انجليز و غيره من البايات وصولا إلى الحاج احمد باي(1826-1837)، الذي كان يعد أخر بايات قسنطينة حيث لقي هذا الأخير ترحيبا كبيرا من طرف السكان ،فامتاز حكمه بالإصلاحات التي شرع فيها منذ توليته الحكم و الاستقرار و الأمن في كل ربوع الإقليم الشرقي ،كما ازدهرت البلاد و و اتصفت و عم الرخاء خلال حكمه[2] .

و على الرغم من محاولة البايات الحفاظ على الأمن و الاستقرار في البلاد إلى إن هناك فترات مر فيها الإقليم بمشاكل و نزاعات منها من كان بين القبائل ومنها من تمردت فيه القبائل على السلطة الحاكمة ، كثورة ابن الاحرش التي تعد من اخطر ما حدث في بايلك الشرق لأنها دامت ثلاث سنوات متتالية و قتل فيها باي و اتهمت فيها دولة أجنبية بالتعاون مع المتمردين [3]

[1] نصر الدين سعدوني : أبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،دت،ص59

[2] الشريف الزهار: مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار –نقيب أشراف الجزائر 1754 1830، تح: احمد توفيق المدني ،الشركة الوطنية ،دار البصائر ،الجزائر ،2010،ص35

[3] العربي الزبيري :مرجع سابق ،ص56

أما الشريف بن الاحرش هو رجل مغربي يزعم انه من شرفاء ملوك فاس دخل وسط القبائل و وعدهم بأخذ قسنطينة و اتخذ من جبال القل معقلا له و لأتباعه[1] و اظهر لهم أمور يزعمها أن بارودهم يتكلم وبارود أهل قسنطينة يرجع ماء في مكاحلهم و أغراهم بمثل هذا الكلام و وعدهم بأموال قسنطينة و حريمها ،فاجمع عليه الجند العظيم من فرق القبائل ما بين جيجل و سكيكدة أكثر من مئة ألف و سار بمجموعه قاصدا قسنطينة حيث هرب أهل البادية من طريقه و تحصنوا بالجبال[2].

و قد انتهى خبر الهجوم على قسنطينة إلى الباي عثمان عندما كان يجوب البلاد و سارع إلى الالتحاق بقسنطينة و هناك تمكن الفرسان المصاحبون له من تتبع جموع الثائرين المتراجعين عن مدينة قسنطينة و أوقعوا بهم هزيمة بمكان يعرف بوقصبة على وادي القطن ،وعندما وصل الباي عثمان قسنطينة سارع إلى إعادة تنظيم الدفاع عنها و بدا يستعد لملاحقة ابن الأحرش و الإلحاق الهزيمة به [3] ،ثم سارع على رأس جيشه منها إلى القبائل الثائرة و كان ذلك في فصل الصيف إلى أن وصل إلى وادي الزهور[4] فاستعان بالقبائل لتدبير مكيدة ضده حيث نزلوا على خيولهم و حفروا سيوفهم حفيرا حيث بقوا هناك أربع أيام هم وخيلهم جوعا و عطشا، فلما سمع عثمان باي بهم أمر المحلة بالرحيل و ركب جنوده و قصد نحوهم فاجئ من خلفه و قطعوا الأشجار في الطريق و عرضوا الخشب و أطلقوا الماء على الأرض حتى صارت وحلا .

---

[1] بن عودة المزاري :طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا أواخر القرن التاسع عشر ،تح يحي بوعزيز،ج1 ،دار الغرب الإسلامي ،لبنان ،1990،ص 299.

[2] احمد بن مبارك العطار : تاريخ قسنطينة ،تح:رابح بونار ،دب ن،دس،ص46.

[3] نصر الدين سعدوني :ورقات جزائرية ،دار الغرب الإسلامي ،لبنان ،2000،ص 316.

[4] وادي الزهور : هو واد يقع بين القل و جيجل .انظر :محمد صالح بن العنتري :مجاعات قسنطينة،تح :رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر ،1974،ص32.

و لما قرب عثمان باي من القوم الذين بالمتارز و سمعوا به ركبوا خيولهم و خرجوا لم يقصدوا الباي بل خرجوا هاربين فوقعت الهزيمة في المحلة و صاحب القبائل من كل جهة و حصلت الناس في الوحل و لم ينج إلا القليل[1].

كذلك ذكر تمردات قبائل الأوراس،حيث يسكن هذه المنطقة ثلاث قبائل هي الحنانشة و الحراكتة و النمامشة و كانت هذه القبائل تعيش في صراع دائم ،اشتهرت هذه القبائل بتمرداتهم على الحكم و رفضهم دفع الضرائب حيث أنه في سنة 1797 اتحدت قبيلة النمامشة و الحراكتة و تمردت على نضام الحكم .

كذلك نذكر تمرد مجانة الذي وقع سنة 1813و الذي تسبب في مقتل الباي نعمان و تعرضت مجانة و الهضاب العليا إلى قمع رهيب و عاشت نتيجة ذلك فترة من الزمن تهددها المجاعة و الأوبئة[2] .

كذلك ذكر ثورة ابن الصخري الذي ثار على السلطة الحاكمة بمساعدة من القبائل من الحنانشة و الذواودة[3] و هاجموا مدينة قسنطينة و امتدت ثورته الى الزيبان و الصحراء و عنابة ،فقد هزت هذه الثورة أركان النظام العثماني و كادت تطيح به و طالت مدتها مما تسبب في سقوط عدد كبير من الباشوات و عدد كبير من الأرواح و بسببها عمت مدينة قسنطينة فوضى كبيرة [4]

من هنا يمكن القول أن الوضع السياسي لبايلك الشرق أواخر العهد العثماني غلب عليه الصراع و النزاع على الحكم من اجل كسب الأموال و الثروات بشتى الطرق

---

[1] احمد بن المبارك بن العطار :مصدر سابق ،ص84.

[2] احمد الشريف الزهار: مصدر سابق ،ص 62.

[3] الدواودة :هي قبيلة من فرع رياح و كان استقرارها الأول في الشرق الجزائري على يد جدها الأول مسعود بن سلطان ،كانت هذه القبيلة في أوج مجدها تحت لواء هذا الزعيم الذي لعب دورا كبيرا إلى جانب الموحدين في الجهاد في الأندلس و بعد أن عاد من الأندلس إلى قسنطينة حيث سيطر على أراضيها .انظر :عبد الرزاق قشوان : مرجع سابق، ص60.

[4] سعودي يمينة :الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية ،أطروحة ماجستير في الأدب الجزائري القديم ،جامعة الجزائر ،2005 2006،ص24.

حيث أخذت البلاد تسير نحو التدهور و اهتز نظام الحكم و كثرت الاغتيالات و انتشرت الفوضى الناتجة عن تجاوزات البايات،كما كانت القبائل في نزاع فيما بينها و لعل ما يفسر ذلك هو أن السياسة التركية قد اتسمت بالعزلة و حالت دون اندماج الأتراك بالأوساط المحلية [1] .

المطلب الثاني :الوضع الاقتصادي لبايلك الشرق

تقوم الحياة الاقتصادية في بايلك الشرق على الفلاحة بالدرجة الأولى في الريف فالأرض بالنسبة لسكان الريف هوية بقدر ما هي مردود مادي ،فالحياة المهنية هناك تقوم على نشاطين هما الزراعة و تربية المواشي [2]

أولا :الفلاحة .

1/الزراعة.

فهي تحتل مكانة هامة في اقتصاد بايلك الشرق و قد ضلت طيلة العهد العثماني لاسيما السنوات الأخيرة منه تمثل النشاط الرئيسي بالأرياف و المورد الأساسي لغالبية سكان[3]،حيث كانت متيجة تعتبر من أجمل الأراضي و أوسعها في العالم و ذلك نظرا لمناخها و خصبتها و موقعها و هي تمتد على مساحة طولها 330 ميلا مربع .

أما نواحي جيجل و بجاية فإنها تنتج الشعير و الجوز و التين و الزيتون و الخضراوات و تمتد سهول عنابة على مساحة طولها 40 ميلا و عرضها 25 و تنتج أنواع الحبوب [4]

---

[1] صالح فركوس :الحاج احمد باي قسنطينة 1826 1850،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،دت،ص 12 13.

[2] اعمراوي أحميدة : علاقة ...،مرجع سابق ،ص 25.

[3] فلة القشاعي :مرجع سابق ،ص 9.

[4] العربي الزبيري :التجارة الخارجية للشرق الجزائري في فترة مابين (1792 1830)ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1984 ،ص 7 8.

و نظرا لكون الحبوب لتكون المصدر الأساسي لتغذية السكان و تشكل المادة الرئيسية للتصدير في الخارج فإنها أصبحت مادة إستراتجية تحكم في زراعتها البايلك و سيطر على أراضيها موظفو الدولة .

كذلك زراعة الأشجار المثمرة التي ارتبطت بالمناطق الجبلية منها مدينة عنابة،ميلة ،المسيلة ، بجاية ، والتي اشتهرت بزراعة التين و الزيتون البرتقال و العنب والليمون ،أما المناطق الجنوبية تميزت بزراعة النخيل و التي اشتهرت بها مناطق الزيبان و واد ريغ و وادي سوف[1].

2/تربية المواشي :

لقد كان الشرق الجزائري يشتمل على كثير من الأراضي الخصبة الشاسعة و المراعي التي تكثر فيها أنواع المواشي و خاصة منها البقر الذي كان يزيد عن الكفاية فيصدر إلى الخارج، حيث كان يتوفر في الشرق الجزائري على 230000 رأسا من الأغنام و 311467 رأس من الماعز بالإضافة إلى الخيول و البغال و اشتهرت بعض القبائل في البايلك بثروتها الحيوانية مثل قبائل النمامشة و الحراكتة[2].

فتربية المواشي تعد المصدر الرئيسي لمعيشة المناطق غير الملائمة للإنتاج الفلاحي فالسكان يقومون بتربية المواشي لسد حاجاتهم من الألبسة الصوفية والزرابي والأغطية والخيام واللحوم.

وما يلاحظ كذلك ان تربية المواشي لم تقتصر على سكان الأرياف بل اهتم بها موظفو البايلك وأعطوها أهمية كبيرة[3]

---

[1] فلة القشاعي: مرجع سابق ،ص 11 12.

[2] حياة بودرة: انعكاسات سياسة الاستيطان الفرنسي على سكان ريف ميلة ،**مجلة ملاف للبحوث و الدراسات** ،عدد5 ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف ،ميلة ، الجزائر ،2017،ص807.

[3] فلة القشاعي: مرجع سابق ،ص 16.

ثانيا: الصناعة.

1/ في المدينة :

كانت مدينة قسنطينة هي أهم مدينة صناعية في الجزائر فهي تشمل وحدها 33معملا لدباغة الجلود و 75معملا للسروج و 127معملا للأحذية فهي تستوعب أكثر من 15 %من يدها العاملة حيث كان العامل القسنطيني يستطيع الاشتغال في مجالات أخرى. مكوننا بذلك عدد من الهيئات الصناعية ،التي لابد منها التلبية حاجات السكان اليومية[1].

حيث شجع الحكام على الصناعة و بوجود الأندلسيين و اليهود الذين اشتهروا بمهاراتهم و جودة مصنوعاتهم فتوزعت المشاغل اليدوية و الورشات التقليدية في أزقة وحارات عرفت بأسماء الصناعة التي اختصت بها و نسبت لأصحابها مثل صناع الفلاش أو البشامقجية أو البلاغية (صناع الأحذية)كذلك القزادرية (تبيض الأواني النحاسية)[2].

و من أهم صناعات التي اشتهرت بها بايلك الشرق فهي صناعة النجارة و هي تتمثل في صناعة الأبواب و النوافذ و غيرها من المنتوجات الخشبية ،كذلك صناعة المحارث و المناجل و القواديم و الألجمة و صناعة الأسلحة و إصلاحها عند الكسر و صناعة الملابس الصوفية و القطنية[3].

فقد كان لها ثمانية و عشرون سوقا و سويقة وواحد وعشرون سباطا و سبع تربيعات يجتمع بها صناع النسيج و ثلاث رحبات لعرض السلع و ثلاثة أفران لطهي

---

[1] العربي الزبيري: التجارة الخارجية ،مرجع سابق ،ص50

[2] نصر الدين سعدوني: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية لولايات المغرب العثمانية – الجزائر ،تونس ،طرابلس الغرب من القرن العاشر الى الرابع هجري و من القرن السادس عشر و حتى التاسع ميلادي ،مجلس النشر العلمي ، الكويت ،2010،ص 33 34.

[3] العربي الزبيري: التجارة الخارجية ...،مرجع سابق ،ص 63.

الخبز و سبع و عشرون مطحنة للحبوب منها خمسة داخل المدينة ، تعالج يوميا ما يعادل ستمائة قنطار من الدقيق [1].

2/في الريف :

اشتهر الريف القسنطيني بصناعة النسيج التي تميزت بها بعض الجهات مثل قبائل بني عباس بنواحي مجانة التي عرفت بصناعة البرانس وصناعة الزرابي وصناعة الأدوات الجلدية التي انتشرت هي الأخرى لدى القبائل التي تمارس الرعي مثل النمامشة والحراكتة

كذلك صناعة الأدوات الحديدية التي اختصت بها القبائل الجبلية بمناطق جرجرة و جهتا ساسا لتوفير الأواني المنزلية و الأدوات الفلاحية من سكة و المحراث و القادوم و المنجل [2] .

ثالثا: التجارة.

التجارة هي احد أوجه النشاط البشري الذي يقوم على التبادل ،و منافعها ،بالنسبة للأمم و الإفراد محصورة في كونها توفير لهم ما لا يستطيعون إنتاجه أو ما ينتجونه بقلة ،كما أنها تساعد على التقدم في الميادين الأخلاقية و الثقافية و الاجتماعية بفضل ما تتطلبه من احتكاكات مستمرة .هذا بالإضافة إلى كونها عنصر بارز من عناصر الثروة التي تعتمد عليها سائر الشعوب لترقى إلى مصاف الدول العظمى[3].

والتجارة نوعان هناك تجارة داخلية وتجارة خارجية

[1] سعودي يمينة :مرجع سابق ،ص20.

[2] فلة القشاعي: مرجع سابق، ص 11 12.

[3] العربي الزبيري: مدخل الى تاريخ المغرب الحديث، ط2، دار الحكمة، الجزائر ، 2015، ص 117.

1/التجارة الداخلية :

تركزت التجارة بالأسواق الريفية التي تحولت إلى مراكز تجارية للجهات القريبة [1].

حيث تقوم على التبادل الإنتاج الفلاحي واقتناء الحاجات الضرورية من الأسواق المنتشرة في جميع جهات الشرق الجزائري، إذ كان لكل قبيلة مهمة سوقها الخاص.

فقد اكتست أهمية خاصة مثل الأسواق الواقعة بالقرب من سطيف وقسنطينة والخروب وسوق تبسة وبسكرة وجيجل وبجاية.

2/التجارة الخارجية :

فهي نوعان نوع يقوم به الأجانب ويتم عن طريق البحر بواسطة موانئ عنابة والقالة والقل وجيجل ومن أهم المنتوجات التي كانت تصدر هي الجلود والشموع والصوف وزيت الزيتون الذي كان يصدر نادرا إلا أوروبا.

أما النوع الثاني: فهي تلك التي تقوم بها الأهالي عن طريق البر إلى تونس و طرابلس وبلاد السودان و الحجاز و تتم بواسطة قوافل[2] ، والمواد المتداولة و التي كانت تصدرها الجزائر هي الحبوب ، الأغنام ،و الشحوم بالمقابل كانت تستورد العبيد و التبر و الحناء و حجر الشب و البخور و العطور وتبغ المشرق و شواشي تونس[3].

---

[1] العربي الزبري: التجارة الخارجية، مرجع سابق، ص 83.

[2] العربي الزبيري: مرجع نفسه، ص 99 103.

[3] نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، دت، ص 148.

المطلب الثالث: الوضع الاجتماعي

ان البنيات في الجزائر لا تختلف اختلافا كبيرا من منطقة لأخرى بل أنها تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع السكان سواء في الغرب أو في الشرق فان القانون أو الأسرة هي الخلية الحية التي تساهم في تكوين الجماعات و توسعها، فتكون هذه الأسرة تحت إشراف الوالد و الأخ الأكبر فيما يخص علاقاتها اليومية مع المحيط الخارجي، أما في داخل الديار فان الأم أو الأخت الكبرى هي صاحبة الأمر و النهي[1] .

فسكان الإقليم الشرقي كانوا ينتمون إلى قبائل كبرى معروفة منذ العصور الوسطى وكل قبيلة الى عرش وكل عرش الى فرق وكل فرقة تنقسم إلى دواوير وكل دواوير إلى دشرة[2].

فكانت القبيلة تسير تسيرا اجتماعيا لان أعيانهم الذين يختارون القائد ويقررون معه في جميع المسائل الخطيرة [3] ،حيث تشكل القبائل و فروعها معظم الشرق الجزائري و قد وصل عدد الفروع حسب بعض المصادر 250قبيلة أو عشيرة يتوطنون كلهم في الجبال و السهول[4].

ومن المعلوم أن الحالة الصحية تلعب دور في توضيح الحالة الاجتماعية لبايلك الشرق حيث مر هذا الأخير بفترات عانى فيها من تردي الوضع الصحي

[1] العربي الزبيري : التجارة الخارجية ، مرجع سابق ،ص 45.

[2] مصطفى عبيد : مرجع سابق ، ص 29.

[3] حياة بودرة : مرجع سابق ،ص 745.

[4] احميدة اعمراوي :علاقة بايلك ..مرجع سابق ،ص 22.

1 / الجانب الصحي :

رغم أن المناخ الصحي الذي كانت تتمتع به الجزائر فإنها كانت عرضة لأمراض مختلفة و لعل أخطرها داء الطاعون الذي كان يظهر حسب بعض المصادر في البلاد مرة كل خمسة عشر سنة أو كل خمس وعشرين سنة، حيث يدعى هذا المرض شعبيا بطاعون بوبكار أو الحبوبة و يميل بعض المهتمين بالقول أن الجزائر لم تكن في القديم مصدر لهذا الداء الفتاك و إنما مصدره هو الشرق.

ففي القرن السابع عشر اكتسح منطقة بسكرة حيث كان ذلك حوالي سنة 1650و قد بلغت عدد الوفيات سبعين ألف، كذلك سنة 1817-1822في مدينة عنابة تسبب في إخلاء ثلثي المنازل، كما اضطر سكان جيجل إلى مغادرة المدينة[1].

بالإضافة إلى داء الطاعون كانت هناك أمراض أخرى كداء الجدري الذي يظهر مرة كل أربع سنوات ففي عام 1804عانى منه سكان عنابة ومتيجة بوجه خاص حيث ذكر العالم النباتي دوفتان بان هواء متيجة مضر في فصل الصيف بسبب المياه التي تتراكم في السهل خلال فصل الشتاء وإن السكان يعانون من الحمى التي يجدون صعوبة في معالجتها[2].

2/الجانب المعيشي :

عانى بايلك الشرق الكثير من المشاكل منها الطبيعية كالزلازل والجراد الزاحف الذي سبب في حدوث مجاعة كبيرة، ففي عام 1805 أحدثت مجاعة كبيرة اشتدت وطأتها على السكان في مختلف أرجاء البلاد لاسيما في الشرق القسنطيني حيث عانى منها السكان

[1] عائشة غطاس: الوضع الصحي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة **الثقافة**، ال عدد76، 1983، ص124 .126

[2] عائشة غطاس: الحرف و الحرفين بمدينة الجزائر 1700 1830، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر ، 2001 2002،ص148.

أزيد من ثلاث سنوات متتالين حيث تعود أسباب هذه المجاعة إلى عاملين أساسين أولهما غزو الجراد وثانيها الاضطرابات الناجمة عن ثورة ابن الاحرش[1].

حيث يقول صالح العنتري في هذا الصدد "إن سبب القحط مركب من أمرين أحدهما نزول الجائعة في السنة الأولى وبقيت مستمرة بعدها والثاني أعظمها ترادف الافتتان والأهوال التي لا تطمئن نفوس الناس[2].

كما عرفت المنطقة ارتفاع في الأسعار ارتفاعا فاحشا وبيع الصاع من القمح بمدينة قسنطينة بخمسة عشر ريالا ولم يتجاوز سعره قبل ظهور المجاعة ريالا ونصف وكان من شدة وطأتها هلك عدد كبير.

المطلب الرابع: الوضع الثقافي لبايلك الشرق.

كانت الحياة العلمية والثقافية في إقليم بايلك الشرق أواخر العهد العثماني تتميز بالنشاط بالرغم من عدم اهتمام العثمانيين بالثقافة، حيث لم تكلف الدولة العثمانية نفسها في التدخل في رسم سياسة تعليمية واضحة مبنية على النهوض بالبلاد وتكوين الطاقات البشرية القادرة على إحداث نهضة ثقافية بل أقصى ما يمكن أن يطمح إليه المتعلم هو الوصول إلى مرتبة خوجا (كاتب)أو طالب (معلم قرآن)[3].

ومع ذلك يمكن استثناء بعض الجهود الفردية التي قام بها بعض البايات مثل صالح باي الذي أعطى اهتماما كبيرا للتعليم ورجال الدين كما عمل أيضا على بناء المؤسسات ثقافية وعلمية كالمساجد والمدارس وخصص لها أنظمة يتقيد بها المدرسون والطلبة[4].

---

[1] عائشة غطاس: الوضع الصحي ...، مرجع سابق، ص 58.

[2] صالح بن العنتري: مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974، ص 32.

[3] مصطفى عبيد: مرجع سابق، ص 42.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500 1830، ج2، دار الغرب الإسلامي، الجزائر ،1998، ص 313 314.

فالمصادر تذكر أن قسنطينة كانت تحتوي على خمسة و ثلاثون جامعا و سبع مدارس كانت أبرزها الجامع الأخضر [1]و جامع سيدي عقبة و قد بلغ عدد التلاميذ الثانوي مابين 600-800 تلميذ يدرسون العلوم النقلية و الدينية و الشرعية و العلوم العقلية من رياضيات و علم الفلك و علم البلاغة و الفلسفة [2].

كما يجدر لنا الذكر دور الطرق الصوفية التي احتلت مكانة هامة في الجزائر حيث كان لشيوخ الطرقية نفوذا في أواسط المجتمع أوسع من نفوذ شيخ القبيلة و أوسع حتى من نفوذ الباي و إن كلمته كانت تنفذ إلى القلوب كالإبر ، فالطرقية كانت تنشر عبر أنحاء الوطن إلى درجة أن البعض عدها بستة عشر طريقة منها ثلاثة عشر طريقة انتمت إلى الشاذلية و كانت الرحمانية هي الطريقة الجزائرية الوحيدة التي انتشرت في الجزائر [3].

و مهما يكن من أمر فقد كانت كل من الرحمانية و القادرية[4]منتشرة بكثرة في معضم المناطق الشرقية .

بالإضافة الى الطبية[1] و التجانية و الطريقة الزيانية الأكثر انتشار في معظم المناطق الشرقية الجزائرية إذ كانت في عين البيضاء و طولقة و كانت زواياها موجودة في كل

[1] الجامع الأخضر: بناه الباي حسين بن الملقب أبو حنك في عام 1157 1743، كما يدل النقش عليه المثبت على لوح من الرخام فوق باب المدخل كما توجد بجانب المسجد مقبرة تضم عدة قبور من بينها قبر الباي حسين. انظر: حصام صورية: العلاقات بين ايالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر 2013، ص110.

[2] مصطفى عبيد: مرجع سابق ،ص 44.

[3] احميدة اعمراوي : علاقة بايلك...، مرجع سابق، ص 29 31.

[4] القادرية: ظهرت في الجزائر قبل مجيء العثمانيين و قد اختلطت تعاليمها بالطريقة الشاذلية و غيرها و قد شجع العثمانيون الطريقة في أول أمرهم و قد كان مؤسسها عبد القادر الجيلالي. انظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي من الفتح الى بداية عصور الاستقلال (ليبيا –تونس –الجزائر –و المغرب) ، منشاة المعارف ،الإسكندرية ،مصر ،1999وص513.

أنحاء سواء للتعليم أو لنشر الخرافة و الشعوذة من جهة و لتنظيم حياة الناس من جهة أخرى .

إذ كان هؤلاء المرابطون نقمة بما أحدثوه من صراعات و نشرهم للخرافة و الشعوذة التي انتشرت في كامل المجتمع ، أيضا ابتعادهم عن العلم و العمل إذ لم يكن لديهم اهتمامات بفلسفة التوحيد وليست لهم عقيدة عميقة في الدين الإسلامي[2].

أما عن فئة العلماء فيجدر لنا ذكر أنها حظيت بالاحترام و التقدير من طرف المجتمع خاصة من طلبتهم حيث كان أساس علاقتهم هو الاحترام المتبادل بينهم لتفانيهم في خدمة العلم و الثقافة لذا كانوا محا إجلال و تقدير .

وقد اظهر العديد من الحكام اهتماما كبيرا بهذه الفئة حيث أولى صالح باي احتراما كبيرا ومعاملة حسنة للعلماء و المرابطين فأجزل لهم العطايا[3]

علماء إقليم الشرق في الفترة المدروسة فإننا نجد الحاج احمد بن المبارك العطار[4] صاحب كتابي تاريخ قسنطينة و منظومة نصيحة للإخوان ومحمد الصالح بن العنتري[5] صاحب كتابي بايات قسنطينة الذي ألفه خلال الحكم التركي و مجاعات قسنطينة الذي ألفه خلال الحكم الفرنسي إضافة إلى بعض الشيوخ [6]مثل محمد الشاذلي المشهور بأبو

---

[1] الطيبية : ولدت في وزان بالمغرب الأقصى مؤسسها هو الشيخ عبد الله الشريف المتوفي سنة 1089و كانت تستمد أصولها من الطريقة الشاذلية و هي تعتبر الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم أساس الذكر . انظر :أبو القاسم سعد الله ،مرجع سابق ،ص515.

[2] احميدة اعمراوي :علاقة بايلك ...،مرجع سابق ،ص 30 31.

[3] نصر الدين سعدوني : الأوضاع ...،مرجع سابق ،ص248 283.

[4] احمد بن المبارك العطار : هو احمد بن عمر بن محمد العطار القسنطيني المعروف بالحاج احمد المبارك ولد بقسنطينة 1790 قضى طفولته في ميلة عند أعمامه درس مبادئ الفقه و العربية بزاويتهم ،اشتغل بالتجارة في شبابه كان يتردد على تونس للتزود بالبضائع تولى التدريس بالجامع الأعظم ثم أسندت له مهمة الإفتاء المالكي .انظر : احمد مبارك العطار :مصدر سابق ،ص147.

[5] صالح بن العنتري :هو صالح بن محمد العنتري القسنطيني باحث له اشتغال بالتاريخ من أهل قسنطينة أدرك أواخر العهد العثماني اشتغل كاتبا في المكتب العربي الذي أنشأه الفرنسيون بمدينة قسنطينة بعد احتلالها . انظر:عادل نويهض : مرجع سابق ،ص 246.

[6] مصطفى عبيد ،مرجع سابق ،ص46.

القاسم بن محمد بن عيسى حيث يقال انه كان أعجوبة زمانه في الحفظ و الاطلاع ،كذلك محمد بن علي الطلحي القسنطيني الذي كان فقيها و نحويا كذلك السيد عبد الرحمان باش تارزي [1]،أبو منصور عمار الشريف القسنطيني [2]و مصطفى العجمي القسنطيني [3]الذي كان عالما في الفقه المالكي و أبو المنصور عمار بن شريط القسنطيني الذي كان حافظا و فقيها و أديبا [4]

[1] باش تارزي :هو عبد الرحمان بن احمد بن مامش باش تارزي القسنطيني ،أديب و شاعر و قاض و مشارك في بعض العلوم و من فقهاء المالكية تولى إدارة سيدي الكتاني منذ تأسيسها إلى حين وفاته .انظر:عادل نويهض : مرجع سابق ،ص30.

[2] أبو منصور القسنطيني : أديب و قاض أصولي و بياني تقلد نضارة الأوقاف بجامع رحبة الصوف .انظر :عادل نويهض :مرجع نفسه ،ص263.

[3] مصطفى العجمي القسنطيني :باحث من فقهاء المالكية نشا بقسنطينة تولى الإمامة بجامع سوق الغزل إلى أن مات .انظر : عادل نويهض : مرجع نفسه،ص 229.

[4] احمد بن مبارك العطارمصدر سابق ،ص11 14.

الفصل الثاني : لمحة عامة عن تونس أواخر العهد العثماني

المبحث الأول : جغرافية تونس و تركيبتها البشرية

المطلب الأول :الموقع و الامتداد الجغرافي لتونس

المطلب الثاني :التركيبة السكانية لتونس

المبحث الثاني :الأوضاع العامة لتونس أواخر العهد العثماني

المطلب الأول :الأوضاع السياسية

المطلب الثاني :الأوضاع الاقتصادية

المطلب الثالث :الأوضاع الاجتماعية و الثقافية

المبحث الأول :جغرافية تونس و تركيبتها البشرية

المطلب الأول :الموقع و الامتداد الجغرافي .

تعتبر تونس [1] اصغر البلدان في شمال إفريقيا بمساحة تقدر 163610كلم و اقلها جبالا و أكثرها تنوعا من حيث أديم الأرض و اختلاف الجو[2]،حيث تقع تونس شرقي جزيرة المغرب فهي تمثل ابعد أجزاء المغرب و القارة الإفريقية إذ يفصلها عن جزيرة صقلية اقل من 140كلم و عن جزيرة سردينيا اقل من 200كلم [3]

تمتد تونس بين خطي عرض°30و°36 شمالي خط الاستواء و بين خطي طول °7.5و°11.2 شرقي غرينتش .

و يحدها من الغرب الجزائر و من الجنوب الشرقي ليبيا أما من الشمال و الشرق فيحدها البحر الأبيض المتوسط حيث تمتد بعض الجزر و أهمها جربة و كركنة و يقترب شمال شرق تونس من جزيرة صقلية الايطالية مكوننا مضيق صقلية تونس كما أن طول ساحلها يبلغ 1300 كلم ،كما تكثر في تونس السهول و التضاريس القليلة الارتفاع فنصف مساحة البلاد يزيد ارتفاعها على 200م فوق سطح البحر و هذا من شانه أن يسير حركة التنقل و يساعد على قيام الوحدة البشرية و السياسية فجملة المرتفعات الجبلة في البلاد التونسية لا تمثل سوى كتل[4].

---

[1] تونس هي مدينة إسلامية أحدثت بعد الثمانين للهجرة و هي مدينة قديمة اسمها ترشيش و لما افتتحها المسلمون و أحدثوا بنائها سموها تونس . انظر محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن دينار :المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس ،مطبعة تونسية بحاضرتها المحمية ،تونس ،1682،ص6.

[2] عاطف عبيد :قصة و تاريخ الحضارة العربية (الجزائر –تونس)،دن د،بيروت ،1999،ص7.

[3] محمد الهادي الشريف ،تاريخ تونس ،دار سارس للنشر ،ط3،تونس ،1993،ص8.

[4] عاطف عبيد :مرجع سابق ،ص7.

المطلب الثاني :التركيبة السكانية

توفرت تونس على مزيج ضم أصناف عديدة من العرقيات التي تفاعلت فيما بينها لتصنع نسيجا متجانسا ،فقد وجد في تونس كجارتها الجزائر الأتراك و الأندلسيين و اليهود و قد شغلوا تصنيفا اجتماعيا متشابها لما كان في الجزائر حيث تضم :[1]

الأتراك :وجدوا فيها كحكام **و** جنود الانكشارية و كانوا يتمتعون بكافة الامتيازات **و** التشريفات [2]حيث يصل عددهم في أواخر العهد العثماني إلى 4000 فرد.

الأعلاج أو المماليك :وهم عناصر أوربية و مسيحية اغلبهم من الرجال

و بعضهم من النساء جلبوا عن طريق الأسر قبل أن يعتنقوا الإسلام ،يفضلون الاندماج بالطائفة التركية و هذا ما جعل الأعلاج عنصرا دخيلا ارتبط وجوده أساسا بنشاط البحرية في القرنين السادس عشر و السابع عشر ميلادي ليقل عددهم بعد ذلك في القرن الثامن عشر عندما ضعفت البحرية و قل عدد الأسرى ففي الفترة الأولى قدر عددهم حوالي 4000 شخص عام 1634و أصبح لهم نفوذ كبير عندما تولى الحكم أحد منهم و هو مراد أسطا الذي استعان بعلج علي للقضاء على ثورة الجند التركي عام 1637.

دون أن نأخذ بعين الاعتبار الأسرى العادين الذين لم يندمجوا في الوسط المحلي مع بقية الأعلاج و إنما فضلوا المحافظة على وضعهم الخاص فكانوا يتميزون بلباسهم الخاص و يعرفون بشاشية حمراء يضعونها على رؤوسهم و قد كانوا يلزمون الإقامة في السجون العامة ليلا و يسمح لهم في النهار بالعمل في الحقول[3].

---

[1] عبد الجليل التميمي :دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر ،د ط،مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ،تونس،2009،ص166.

[2] كوثر العايب :مرجع سابق ،ص25.

[3] نصر الدين سعدوني :مرجع سابق ،ص53.

الكراغلة :هم نتاج المصاهرة القائمة بين الرجال الأتراك و النساء التونسيات[1] ظلوا مبعدين عن المناصب العليا في الإدارة على الرغم من وضعهم الاجتماعي المميز إذ كانت تجمعهم قرابة العمومة مع الأتراك و تشدهم نسب الخؤولة مع التونسيين و لم يتمكن الكراغلة من فرض نفوذهم لقلة عددهم الفترة الأولى من الحكم العثماني ،كذلك عدم تحكمهم في الجند و ضلوا مبعدين عن الجهاز الإداري و هذا ما ساعد حرمانهم من الامتيازات حتى عندما يحاولوا منافسة الأتراك في نيل بعض حقوقهم يستبعدوا بالقوة ويسلط عليهم العقاب في بعض الأحيان[2] .

الأندلسيين :توافدوا بكثرة خلال القرن السابع عشر و كان لمجيئهم الأثر البالغ في تغطية النقص السكاني الذي حل الإيالة خلال القرن السادس عشر[3] .

حيث عرفوا بنشاطهم الاقتصادي و معارفهم الثقافية و مهاراتهم الفنية فتزايد عدد أفراد الجالية الأندلسية في مطلع القرن السابع عشر في تونس و سبب ذلك هو تشجيع بعض الحكام بدخول هذه الجالية و منهم عثمان داي فانتشر ما يقل عن 50000 أندلسي سنة 1609بجهات الوطن ، أما في مدينة تونس فقد كان لهم حي خاص بهم يعرف بحومة الأندلس .

الحضر.وهم غالبية سكان المدن الذين ضلوا مرتبطين بوسطهم المحلي و محافظين على تقاليدهم العربية الإسلامية .

اليهود:بعد أن كان عدد اليهود قد تضائل في تونس في القرن الثاني عشر قدمت أعداد كبيرة من يهود اسبانيا مع مسلمي الأندلس و أصبحوا في القرن السادس عشر

[1] كوثر العايب :مرجع سابق ،ص25.

[2] نصر الدين سعدوني : الأوضاع...،مرجع سابق ،ص54.

[3] كوثر العايب :مرجع سابق،ص26.

يشكلون تجمعات مهمة بالمدن الرئيسية تونس و سوسة[1] قدرت في أوائل القرن التاسع عشر بأزيد من 30000منهم 1500بمدينة تونس حيث نجحت هذه الجماعات في تبؤ مكانة مميزة بمجتمعات المدن بفضل الصنائع و الأعمال التجارية التي كانوا يتقنونها .

البرانية : و هم الذين قدموا إلى المدن من المدن الداخلية للإقامة و العمل و قد ضلوا يعتبرون دخلاء ينسبون إلى مواطنهم الأصلية و يحافظون على أوضاعهم بالاشتغال بمهن و أعمال معنية لم تجد إقبال عليها من طرف الحضر و هي في الغالب مهن متواضعة و أعمال بسيطة .

الجالية الأوروبية: هي تتألف أساسا من التجار و رجال الدين المسيحيين و بعض الرحالة و الأطباء و الصيادين **و**هم في الغالب يقيمون بمراكز الولايات كمدينة تونس حيث لا يتجاوز عددهم عدة مئة وهم في الغالب منعزلون عن بقية السكان و يفضلون الإقامة بمنازل خاصة بهم في الضواحي القريبة من الطرق المؤدية إلى أبواب المدينة أو في فنادق معينة قريبة من الميناء [2]

[1] سوسة:هي مدينة تونسية أسسها البونقيون في القرن التاسع و أطلقوا عليها اسمها بونيقيا هو خطر أو اجتناب و الموت أي أنها المدينة التي يجب ان يجتنب ما في بحرها من الصخور التي قد ترتطم عليها المراكب .انظر :عثمان الكعاك :الرحلة الشابية 1966،تح:محمد رؤوف بلحسن ،مطبعة التشفير الفني ،تونس ،2009،ص131.

[2] نصر الدين سعدوني :الأوضاع ..،مرجع سابق ،ص.21.

المبحث الثاني : الأوضاع العامة لتونس أواخر العهد العثماني .

المطلب الأول : الأوضاع السياسية لتونس .

عرفت تونس في نهاية القرن السادس عشر انقلابا عسكريا قامت به طائفة الانكشارية على رؤساء الديوان أدى إلى نهاية الباشوات و استبداله بعهد الدايات [1]الذين عملوا ما بوسعهم من اجل فرض نفوذهم الممتد نصف قرن بفضل شخصيات حازمة كعثمان داي (1594–1610) الذي شن قوانين في البلاد و عرفت بالميزان من اجل إحلال الأمن و الاستقرار فيها ،كذلك يوسف داي[2] (1610–1637) الملقب بحامي القرصنة لأعماله البحرية الهامة و لكن هؤلاء الدايات بالرغم ما تمتعوا به من إمكانيات إلا أن نفوذهم اخذ في التراجع لصالح البايات[3] .

فمع منتصف القرن السابع عشر أسس هؤلاء البايات [4] أسرة حاكمة سميت بالأسرة المرادية و ما لبثت حتى تحولت إلى يد الأسرة الحسينية ا نسبة لحسين بن علي تركي حيث انتخب حسين لمنصب باي تونس من قبل العلماء و العسكر و الأعيان يوم 15 جويلية 1705وذلك لما يعلمون من حميد أخلاقه فخر إليه أهل الحق و العقد و طلبوا منه قبول بيعتهم فامتنع مصرا على عدم قبول لكنه في الأخير قبل دعوتهم و ذلك من اجل الدفاع عن البلاد التونسية[5]

---

[1] عبد الوهاب حسني :خلاصة تاريخ تونس ، الدار التونسية للنشر ، تونس ،1983،ص160 161.

[2] داي :تعني في اللغة التركية الخال و يطلق اللفظ كلقب تحبيب يخاطب به الكهول و الشيوخ و هذا اللقب في شمال إفريقيا خاصة في الجزائر يعني أمير عسكر الانكشارية .انظر : رشاد الإمام :مرجع سابق ،ص48.

[3] كوثر العايب :مرجع سابق ،ص11.

[4] بايات :جمع باي هي من الألقاب التركية القديمة كانت شائعة لدى الأتراك قبل إسلامها كانت الكلمة تطلق على صاحب الأمر في أي موقع كان استخدمها المغول بالمعنى نفسه كما أطلقت على من يراد تعظيمهن من النساء .انظر :سهيل صابان : المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ،2000،ص23.

[5] رشاد الامام :مرجع سابق ،ص58

و على الرغم من أن ولاية هذا الباي كانت شرعية لأنه لم يطلبها و لا سفك لغرضها دماء المسلمين فانه طلب تجديد مبايعته مرتين الأولى لما صمم على تحرير البلاد من القوات الجزائرية التي كانت مرابطة على الحدود التراب التونسي ومنذ هزيمة إبراهيم الشريف و قد بطش بهم و أرجعهم إلى ما وراء حدودهم و المبايعة الثانية كانت عند محاربته للداي محمد الأصفر،لكن آمال حسين باي في جعل الحكم في دولته مرتبا و منضما لم يتحقق بالصفة التي أرادها و فالفتن و المؤامرات لم تقطع دابرها قط و كفانا دلالة أن حسين بن علي تركي في حد ذاته ذبح على يد حفيد أخيه في صحاري القيروان بعد ثورة ناجحة ،غير ما يجدر ذكره انه أهم ما حققه حسين باي هو تأسيس دولة توالى على حكمها ستة عشر بايا في مدة تزيد عن القرنين بقيت و استمرت إلى غاية دخول الاستعمار الفرنسي الأراضي التونسية[1] .

فالبرغم من صلابة حسين باي إلا انه توفي على يد حفيد أخيه عليه ترأس هو الحكم فقد بطش بأهل حسن باي اشد بطش ، لكنه في الخير لاقى نفس المصير فالحرب و الخديعة لم تنتهي بانتهاء حسن باي و استمرت من جيل إلى جيل ،فقد كان لعلي ثلاث أبناء محمد ويونس و سليمان و كان يونس قد تعود في كل عام بان يرسل القوة التي تذهب إلى الدواخل و بعد أداء المهمة يعود و ينهمك في ملاذه ، في السنة الأخيرة لم تعط القيادة ليونس فلم يسره الأمر و دخله الشك من إن مكانته تنحط مع مرور الزمن ،و لما ابلغ بوجوب خروجه من البلاد و أو يقطع رأساه جمع أعوانه و استولى بهم على الحصن الداخلي و على المدينة ثم احتل حلق الواد، لكن علي باشا تمكن من وقف انتشار الثورة ، لكن الحرب لم تنتهي فسارت هناك مناوشات حول البيت الحاكم و استمرت العملية مع جميع البايات فكل باي إما أن يكون النزاع بينه و بين ابنه أو بينه و ابن أخيه او بين الاخوة [2]

[1] رشاد الإمام :مرجع سابق ،ص58.

[2] عزيز سامح :مرجع سابق ،ص253.

أما في الجانب العسكري فان حمودا باشا كان مهتما و مولع به حيث كون جيش من الزواوة[1] و الصباحية من قبائل المخزن في كل من تونس و القيروان و الكاف و باجة[2]،حيث انه كان شديد الحرص على أن يضمن حسن اختيار أفراد الجيش خاصة من ناحية القوة البدنية و الأهلية كما يزيد في مرتباتهم قبل الوقائع الحربية و بعدها حتى أنهم كانوا يحبونه و يكنون له الولاء و من ذلك انه جعل نفقات الجيش تجاوزت التقديرات بكثير سواء كانت على القوات البرية أو على القوات البحرية كما عمل على تسليح الجيش بأحدث العتاد الأوروبي و عمل على تطويره و جعله في أحسن صورة[3].

أما في الجانب الإداري فقسمت الإيالة التونسية إلى مناطق على رأس كل منطقة عامل نائب المباشر للوالي يمتلك نفوذا إداريا و سياسيا واسعا يسهر على المصلحة العامة و الأمن و يدير مشاريع محلية و يعتمد على القيام بمهامه على مشايخ البلدان و رؤساء القبائل في حين توكل مهام الفصل في المسائل الدينية و المدنية الذين ساعدهم شيوخ إفتاء ذلك وفق أحكام الدين الإسلامي [4].

[1] زواوة :هي قبيلة في جرجرة منها تأسست فرق في الصف العثماني .انظر اعمراوي أحميدة :علاقة بايلك...،مرجع سابق ،ص4.

[2] كوثر العايب :مرجع سابق ،ص12.

[3] رشاد الإمام : مرجع سابق ،ص188 209.

[4] احمد بن عامر :تونس عبر التاريخ ،مطبعة النجاح ،تونس ،1960،ص333 334.

المطلب الثاني : الأوضاع الاقتصادية لتونس .

شهدت تونس أواخر العهد العثماني انتعاشا اقتصاديا حيث ازدهرت في عدة مجالات فالقرصنة أو ما يسمى" بالجهاد البحري "نشط في تلك الفترة حيث صارت تدفع إلى تونس ألاف الأسرى المسيحيين و كانت نهاية المطاف بالنسبة إليهم أن يفيدهم أهاليهم بالمال و بكميات ضخمة من السلع المغنومة التي كانت تمون تجارة رابحة لتونس حيث نشطت الاقتصاد التونسي النقدي و صار الريال الاسباني عملة تبادل بين قطاعات هامة من التونسيين كذلك الفضة الاسبانية أصبحت متداولة في تونس [1] إلا أن اقتصاد تونس لم يقم فقط على القرصنة بل تعدى إلى الجانب الفلاحي.

فتونس تزخر بمناخ ملائم للزراعة و الرعي حيث عملت الوفود الأندلسية القادمة من اسبانيا على تطوير هذا الجانب فاخذوا ينشئون المزارع و البساتين و ادخلوا زراعة محاصيل جديدة قدموا بها من اسبانيا كالطماطم و البطاطا وبعض أنواع الفليفلة الخضراء و الحمراء و التوابل ،كما ادخلوا تقنيات في مجال السقي و ذلك من خلال إنشاء السدود [2]فمن الأراضي التي ادخلوا فيها السدود هي أراضي واد مجردة السفلى و أسفل الوطن القبلي و سواحل شرق البلاد من قلعة الأندلس إلى بنزرت [3].

بالإضافة إلى مساعيهم في تطوير زراعة الزيتون خاصة في طبرية و قصب السكر الذي زاحم الإنتاج الأوروبي سجل تقدما ملحوظا نتيجة استعمال طواحين الهواء فضلا عن اهتمامهم بزراعة الأشجار المثمرة و تربية المواشي و تجديد الغابات [4].

---

[1] محمد الهادي الشريف :مرجع سابق ،ص73.

[2] عبد الجليل التميمي : تأثيرات الموركسين الأندلسيين على المجتمعات المغاربة –العهد الحديث و المعاصر ، **المجلة التاريخية المغاربية** ،مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ،العدد 120،تونس ،جوان 2005،ص328.

[3] محمد الهادي الشريف :مرجع السابق ،ص73.

[4] عبد الجليل التميمي : مرجع سابق،ص329.

لذا فان النشاط الذي قام به الأندلسيون هو وحده الذي لفت انتباه الملاحظين فجعلهم يستهنون بالدور الذي قام به الأهالي في تطوير اقتصاد بلادهم حيث اشتهر و بصناعة النسيج التي كانت نشطة على الخصوص بالعاصمة تونس وسوسة و القيروان و في جهات الجريد.

كما لا يمكن إنكار بعض البايات و الدور الذي قاموا به من اجل النهوض باقتصاد البلاد و من بين هذه البايات حمودا باشا الذي عمل على تعزيز الإمكانيات البلاد الاقتصادية في كل الجانب الصناعي و الزراعي و التجاري[1] .

فقد كانت زيادة الإنتاج الزراعي للبلاد التونسية إحدى أهم شواغله منذ توليه العرش و قد بدأها بحثه على العمل و نبذ البطالة كما عمل على تشجيع ضعاف الفلاحين فكان يسلفهم و يبيع لهم الحبوب و الأنعام إلى آجال واسعة بقيمة الحال كذلك تحسين الإنتاج و تطويره فيقال في عهده كان هناك فرنسيون يقومون بتجارب لتطوير و تحسين الإنتاج الزراعي ، أما في جانب الصناعي فقد عمل على تشجيع الصناعة المحلية من مظاهر ذلك أن حمودا باشا كمن سبقه من البايات لبس الكشمير المستورد من الخارج لم تمض أيام طويلة حتى الباي جميع رجال دولته يلبسون مثله بل لاحظ كثرة رواج ذلك النوع من اللباس في الأهالي أيضا عند ذلك تيقن الباي المضار التي تحصل للصناعة المحلية نتيجة تفضيله لغيرها و فطن لكساد صناعة البلاد و رواج السلع الخارجية و ما إن حل العيد حتى وجد حمودا باشا الفرصة مناسبة لإيقاف تلك العادة السيئة ، وقبل تلقي وفود المهنئين من أكابر رجالات الدولة و الأعيان لبس طيلسانا من صنع جربة و البس رئيس الكتبة مثلها[2] ، أما التجارة فقد شجع على التجارة المحلية من خلال تنظيم الأسعار و

[1] محمد الهادي الشريف :مرجع سابق ،ص76.

[2] رشاد الإمام:مرجع سابق ،ص261.

تنظيم الأسواق كما شجع على التجارة الخارجية سواء مع البلدان المجاورة أو مع البلدان الأجنبية [1].

المطلب الثالث :الأوضاع الاجتماعية لتونس .

شهدت تونس في القرن السابع عشر انتعاشا في الوضع الاجتماعي فقد توفرت على مزيج ضم أصنافا عديدة من العرقيات التي تفاعلت فيما بينها لتصنع نسيجا متجانسا ،فقد وجد في تونس كجارتها الجزائر و الأتراك و الأندلسيين و اليهود [2]

أما الوضع الاجتماعي فهو يتمثل أساسا في الوضعية الصحية و الحالة المعيشية فقد عرفت تونس فترات متعاقبة عانت فيها من الانكماش الديموغرافي الذي صاحبة انتشار الأمراض و حدوث مجاعات و انخفاض في مستوى المعيشة في فترة القرن الخامس عشر لكن سرعان ما تغيرت الأوضاع مع حلول القرن السادس عشر و توسعت المدن و انتشر العمران ليستمر إلى منتصف القرن السابع و قد ساعد ذلك على استقرار الحكم المركزي العثماني [3].

فبقدوم المهاجرين الأندلسيين عرفت تونس ازدهار كبير في شتى الميادين خاصة إصلاح الأراضي بحيث كان للأوبئة تأثير [4]،لكن الأوضاع لم تلبث أن تغيرت مع بداية منتصف القرن السابع عشر فقد بدا العمران يتراجع بحدوث القحط و أثناء مواسم الجفاف و التي عقبها ظهور المجاعات و تكاثرت الأوبئة خاصة الطاعون[5] ففي سنة 1777-1778حل وباء جارف ومجاعة شملت البلاد بأسرها مات فيها خلق كثير

---

[1] رشاد الإمام :مرجع سابق ،ص261 279.

[2] شارل أندري جوليان :تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس – الجزائر – المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830،تح:محمد مزالي ،البشير سلامة ،ج2،الدار التونسية للنشر ،1938،ص356.

[3]نصر الدين سعدوني :الأوضاع....،مرجع سابق ،ص47.

[4] محمد الهادي الشريف :تاريخ تونس ،مرجع سابق ،ص73.

[5] نصر الدين سعدوني :الأوضاع...،مرجع سابق ،ص48.

و ماشية عديدة و نتج عنها نزوح الأهالي من الأرياف إلى المدن خاصة العاصمة من اجل البحث عن القوت، أما في سنة 1783 وقع وباء الطاعون اهلك العباد الماشية وحدها مات حوالي خمسة عشر ألفا و في سنة 1784بدأ الوباء يظهر و قتل العديد من السكان خاصة في مدينة الكاف و بعض القرى لم يبقى فيها من سكانها احد بسبب موتهم كذلك سنة 1785 أرسلت سفينة من اسطنبول كانت حاملة أناسا مصابين بالطاعون و من تلك المدينة انتشر الوباء في كامل البلاد التونسية و في سنة 1790رجع الوباء بكل شدة إلى تونس و مات العديد من أهم رجال البلاد العاملين النشطين و خلف مئات الآلاف من الموتى ،وفي هذا الوضع عمل حمودا باشا عمل جاهدا للتصدي بهذا الوباء حيث اصدر أمرا وقائيا يقتضي بحرق ثياب الموتى و كسوة بيوتهم و غلقها و غسل الغرباء بالمقابر كما أمر أيضا بإزالة أكوام الزبالة المتراكمة من حيث حكم الحفصين في تونس و قد تكون منها ما يشبه التلال في المنطقة المهجورة من العاصمة آنذاك [1]

إلا أنها لم تحرز نتائج ملموسة فان إجراءات الحجر الصحي ضلت مهملة أو غير مطبقة حيث أن تونس كانت تعاني من الانكماش الديموغرافي بسبب دوام القحط و الشر و نزول المجاعات خاصة في عهد حمودا باشا تثبت الدراسات أن تعداد تونس سنة 1705كان40000و في سنة 1756كانت 1000000تنخفض سنة 1860إلى 80000ألف نسمة [2].

على العموم يمكن القول أن الوضع الاجتماعي في تونس مر بمراحل شهدت فيها التدهور في كل من الحالة الصحية و المعيشية و في فترات مرت بالانتعاش و انتشار العمران و يرجع ذلك الاستقرار و قلة الحروب و تطور النشاط الاقتصادي[3].

[1] رشاد الإمام : مرجع سابق ،ص319.

[2] نصر الدين سعدوني :الأوضاع ..،مرجع سابق،ص50.

[3] كوثر العايب ،مرجع سابق ،ص 25.

المطلب الرابع: الوضع الثقافي لتونس.

عرفت تونس أواخر العهد العثماني انتعاشا في الجانب الثقافي ،حيث شيئا فشيئا من تخلصت حالة الجمود التي كانت تعاني منها في القرن السادس عشر [1]فقد اجتهد البايات في إعطاء العلم و الثقافة حقها و وعلى رأسهم الباي حسين الذي أولى اهتماما كبيرا لمدينة القيروان ، لما عرفت به هذه الأخيرة من علم و علماء و نزلوا درسوا فيها ،كما رمم حوالي خمسين مسجد في عهده و أنشئت مدرسة سفاقص ،التي خصت من المسافرين و جهزت مدرسة مليئة بالكتب و مزينة بالزرابي المزركشة و كان الباي يولي احتراما كبيرا لشيوخ الزوايا

حيث اهتم الحكام بإيصال الماء إلى الساحات العمومية و حفروا الآبار

و ملئت المكتبات بالمؤلفات الخاصة بجميع المواد العلمية و الفقيهة [2].

لكن ما يلاحظ أن هذه المدارس تحقق داخل الحدود الضيقة التي فرضت على التفكير الإسلامي منذ قرون ،حيث اقتصرت العلوم و خاصة الدينية منها على النقل و التكرار مما أتى به الأولون غير محددة طرقها ولا موسوعة الميادين[3]،فمن أهم المقررات التي كان يتحصل فيها الطالب على إجازة التخرج نذكر على سبيل المثال ، الفقه و الأصول ،حيث عملت هذه المؤسسات على نشر المعارف المسيرة و الثقافة الدينية المبسطة في أواسط العامة و ذلك بتحفيظ ما تيسر من القرآن و ذلك بواسطة مشايخ من علماء من كل المذاهب [4] .

---

[1] عبد الرحمان مؤدن و عبد الرحيم بنجارة : العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية و المتوسطية ،ط2،منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية ،الرباط ،2005،ص102.

[2] حصام صورية : مرجع سابق ،ص 103.

[3] محمد الهادي الشريف : مرجع سابق ،ص76.

[4] نصر الدين سعدوني :الأوضاع...،مرجع سابق ،ص76.

عرفت تونس مؤرخين مشهورين خدموا العلم بمعرفتهم التاريخية و تركوا كتب و مؤلفات أشهرها قرة العين لمحمد سعادة ،مفاتيح النصر للمؤرخ العيادي كذلك المشرع المالكي لمحمد الصغير بن يوسف و الوزير محمود عبد العزيز كاتب الباشي [1].

كما يجدر لنا الذكر عزيزة عثمانة [2]1606-1669كذلك يوسف صاخب الطابع صاحب الخبرات أبو المحاسن 1763-1815،الشيخ إبراهيم الرباحي -1850 1768[3].

فكان المؤرخون التونسيون يدرسون الأحداث التي عاصروها بأمر من الحكام الذين كانوا يستفيدون منهم في تعلم الخلفاء العرش التونسي ،كما رفض بايات تونس الانغلاق داخل حوصلة الدولة العربية و بفضل سياسة البعض منهم أمثال حمودا باشا تفتحت إيالة تونس إلى بعض مظاهر الحضارة الأوربية و تأثرت بإجازاتها العلمية فقام الخبراء و الأطباء المهندسين وغيرهم للعمل بإيالة تونس حتى ينشرون خبراتهم لدى التونسيين [4].

في مجال الهندسة المعمارية فامتزجت التأثيرات المحلية الأندلسية و بعض التأثيرات الوافدة من الشرق مثل جامع يوسف داي [5]و جامع حمودا باشا [6]

---

[1] حصام صورية :مرجع نفسه،ص 103.

[2] عزيزة عثمانة :ولدت الأميرة عثمانة في بيت أبي العباس احمد فنشأت نشأة مطابقة لتعاليم الشريعة والدين الإسلامي درست الأدب وعلوم الدين ، تزوجت في سن بكرة من مراد باي الذي حكم تونس فيما بعد ،كانت مولعة معمل الخير توفيت سنة 1669. انظر : الصادق الزميلي :أعلام تونسيين ،تق و تع حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،27، 1986 28.

[3] الصادق الزميلي : ،مرجع نفسه ،ص25 33 49.

[4] حصام صورية :مرجع سابق ،ص 105.

[5] جامع يوسف داي :أسسه يوسف داي 1610م حيث قام ببنائه المهندس ابن غالب و شيده يوسف داي كما شيد مدرسة مجاورة له و ميضأة فوقها مقهى و كذلك كتابا و أضاف إليها سوق البشامقية الملاصقة للجامع و سوق الترك و سوق البركة ، وهكذا كونت في مجملها كتلة متكاملة ،و يقع الجامع اليوسفي في مدخل المدينة العتيقة من ناحية القصبة . انظر محمد الباجي بن مامي ،جوامع مدينة تونس في العهد العثماني –دراسة تاريخية دن د،تونس،دت ،ص2 3.

[6] محمد الهادي الشريف : مرجع سابق ،ص76.

أما فيما يخص النشاط الفني فقد عبرت عنه الموسيقى و طبيعة الغناء و الموسيقى ففي الريف غلب الغناء و الموسيقى ذات الطابع البدوي مثل القصبة و الربابة و الزرنة أما في المدن فغلب عليها الطابع الأندلسي [1]

[1] نصر الدين سعدوني: الأوضاع.مرجع سابق، ص 90.

الفصل الثالث: العلاقة الاقتصادية والسياسية بين بايلك الشرق وتونس أواخر العهد العثماني

المبحث الأول: العلاقة الاقتصادية بين بايلك الشرق وتونس

المطلب الأول: المبادلات التجارية بين البلدين

المطلب الثاني: الوسائل والطرق التجارية الرابطة بين الشرق الجزائري وتونس

المبحث الثاني: العلاقة السياسية بين بايلك الشرق وتونس

المطلب الأول: مشكلة الحدود بين الشرق الجزائري وتونس

المطلب الثاني: مظاهر التوتر بين الشرق الجزائري وتونس

المطلب الثالث: مظاهر السلم بين الشرق الجزائري وتونس

المبحث الأول: العلاقة الاقتصادية بين بايلك الشرق وتونس

كانت تربط بين الشرق الجزائري و تونس علاقة اقتصادية بغض النظر على العلاقة السياسية التي كانت في الكثير من الأحيان تتصف بالعداوة، فكانت بينهما علاقة بصفة كبيرة و كانت تجري بين أهاليها أو بين السلطة الحاكمة، فكانت تقام أسواق كبيرة في كل من قسنطينة و تونس يعرض فيها التجار سلعتهم و كانت عبر طرق برية بواسطة قوافل تجارية.

المطلب الأول: المبادلات التجارية.

تعتبر تونس اقرب الأسواق الخارجية للشرق الجزائري لذلك كان التجار قسنطينة من تليين و صحراوين يفضلون التوجه إليها وينقلون لها منتجاتهم و يتزودون منها بما يحتاجه السكان من مختلف المواد الكمالية بصفة خاصة [1].

حيث لاقت المنتجات الصناعية التونسية بالشرق الجزائري رواجا كبيرا كما كانت العملة التونسية تنافس العملة المتداولة بالجزائر حيث كانت هذه العملة احد العوامل المهمة في تحديد نوعية العلاقات بين نظامي بايلك الشرق و الحسينيين بتونس [2]

فكانت تنتشر في تونس أسواق كبيرة و أصبحت مدينة تونس محور التبادل التجاري لايالة تونس بعد أن اهتم الحكام بتطوير أسواقها المنتشرة داخل أسوارها المنتشرة ،فقد أصلح يوسف داي حي التجار بإزاء باب البنات و اعتنى سوق الغزل المجاور له و احدث سوقا جديدة – سوق الجزية – و أحسن ما كان موجودا مثل سوق البشامقجية أي سوق الأحذية و سوق البركة و سوق الترك و سوق الشاشية [3]

---

[1] العربي الزبيري: التجارة الخارجية، مرجع سابق، ص151.

[2] احميدة اعمراوي : علاقة بايلك ...، مرجع سابق، ص42 43.

[3] نصر الدين سعدوني: الأوضاع.... مرجع سابق، ص38.

أما في بايلك الشرق فقد انتشرت أسواق في كل من سطيف و ميلة و تبسة و بسكرة وزمورة و جيجل وبجاية و تقرت و ورقلة [1].

فكانت تربط هذه المناطق تبادل تجاري و تقدر شهريا بحوالي خمس مئة ألف فرنك و نستطيع القول أن التجارة التونسية الجزائرية تستعمل سنويا رأسمال يقدر بحوالي ستة ملايين فرنك فهو مبلغ لا يقل أهمية عن رأسمال المؤسسات الفرنسية [2]

فالعلاقة الاقتصادية بين تونس والشرق الجزائري كانت مستقرة يقول وليام شالر "و قد استقيت معلومات من سكان هده المناطق مباشرة و اخبروني بان اتصالاتهم بداخل افريقية لا تتجاوز غدامس التي هي مستودع الجنوب التونسي .... فكانت تلقى التبر وريش نعام و التمر في مقابل المصنوعات الأوربية و الحبوب "[3]

فقد كانت المبادلات تتم و تجري بطريقة بدائية قريبة جدا من المقايضة،فقد كان التجار الجزائريون يحملون من مراكزهم التجارية المتمثلة في الدكاكين والحوانيت مواد غذائية و بعض مواد الزينة ثم يعودون بعد رحلاتهم ومعهم منتوجات متعددة ليس لها علاقة بوسائل الإنتاج المحلية[4] انظر (الملحق ص92).

أولا: الصادرات الجزائرية إلى السوق التونسية.

كانت قسنطينة تحمل في قوافلها إلى تونس سلع أهمها :

الحبوب و الزيوت و الصوف والمرجان و ريش نعام [5]و التمور و الجلود المفتوحة و المدبوغة و التبغ و الشواشة الجزائرية [1].

---

[1] فلة القشاعي : مرجع سابق ،ص21.

[2] العربي الزبيري :التجارة الخارجية ...،مرجع سابق ،ص 103.

[3] وليام شلر : مذكرات وليام شلر،تع وتق ،اسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ،ص103 104.

[4] حصام صورية :مرجع سابق ،ص147.

[5] احميدة اعمراوي :علاقة بايلك ...،مرجع سابق ،ص 22.

الحبوب :والمقصود بها الشعير و الفول و الحمص و القمح أي كل المواد الضرورية للغذاء اليومي حيث يعد الشرق الجزائري من اكبر المناطق في الجزائر إنتاجا له .

الصوف :فالشرق الجزائري كان يحتوي على كثير من الأراضي الخصبة و المراعي الشاسعة التي تكثر فيها أنواع المواشي فقسنطينة تحتوي على الكثير من الصوف .

المرجان :يقول القدماء انه نبات يشبه الشجر لكن التعريف الحديث يقول انه الغصن الحي من المرجان حيث يكون في أعماق تتراوح بين خمس و عشرين ومائتي متر يكبر بسرعة فيبلغ ارتفاعه في بعض الأحيان إلى خمسين سنتمتر و في الشرق الجزائري يصطاد المرجان في السواحل الممتدة من عنابة و القالة و ينقسم المرجان إلى المرجان المختار وهو الذي يتكون من اكبر الغصون و يباع بأثمان تتراوح بين ارب عاو خمس مئة فرنك للكيلوغرام ،كذلك مرجان الصناديق و هو الذي ينظف و يتميز بأغصانه المختلفة الأحجام كذلك هناك المرجان الأسود و المرجان الميت أو المتعفن و يباع بأرخص الأثمان مقارنة بالتي سبقته [2].

التمور :كانت مدينة الوادي تنتج أنواع جيدة و بكميات هائلة لكونها تتوفر على أعداد هائلة من النخيل التي تصل إلى 150000نخلة .

الشواشي الجزائرية :كانت تحض بطلب كبير في السوق التونسية للاستعمال اليومي لكونها ارخص سعرا من الشواشي التونسية ذات الجودة العالية [3].

الجلود: حيث كانت صناعة الجلود رائجة في المدن و البوادي و تستعمل الجلود لمعالجة الفيلالي و المتوفرة محليا و ذلك لصناعة السروج و المحافظ و الأحذية و أغمدة السيوف و القرب و الأحزمة و الدزدان (حافظ النفود)،فقسنطينة كانت تعتبر مركزا رئيسيا لهذه الصناعة

---

[1] كوثر العايب :مرجع سابق ،ص60.

[2] العربي الزبيري : التجارة الخارجية ....،مرجع سابق ،ص78.

[3] كوثر العايب :مرجع سابق ،ص60 61.

باحتوائها على ثلاثة وثلاثون مدبغة بها و خمسة وسبعون مشغل للسروج و مئة وسبع و ستون محلا لصنع الأحذية [1].

ثانيا:الصادرات التونسية إلى السوق الجزائرية (قسنطينة).

كانت تتمثل في العطور و المستحضرات و الأسلحة و مواد البناء و السكر و القهوة والورق و الحديث [2]كذلك الأقمشة الحريرية و الكبريت و البخور السوداني و العاج [3]الشمع العملة النقدية الشواشي و الحلي و المجوهرات [4].

العطور و المستحضرات :حيث انتشرت في المدن و البوادي اشتهرت منها صناعة تقطير ماء الورد و الزهر من الورد و الأرنج في تونس و بالتحديد في قربانة و سليمان و زغوان [5].

الحلي و المجوهرات :اشتهرت بها العائلات الحضرية من الأندلس و اليهود في تونس و التي عرفت بدقة صناعتها و إتقانها فكانت تونس تصنع أنواع راقية من الحلي و اشتهرت منها الأحزمة المرصعة و الأساور المنقوشة و الخلاخل الرفيعة و الأقراط ذات الشكل الهلالي .

الأقمشة الحريرية :اشتهرت مدينة تونس بصناعة الكتان و الحرير و الصوف المنتشرة في مختلف الأحياء كما عرفت مدينة جربة بصناعة الشالات الممتازة و البطانيات الصوفية .

الشواشي :كانت تونس تنتج أربع ألاف زويجة و تشغل مئة و خمسين شخص سنويا [6].

---

[1] نصر الدين سعدوني :الأوضاع ....،مرجع سابق ،ص35.

[2] أحميدة اعمراوي :علاقة بايلك ...،مرجع سابق ص 42.

[3] العربي الزبيري :التجارة الخارجية ...،مرجع سابق ،ص 159.

[4] رشاد الإمام : مرجع سابق ،ص 285.

[5] زغوان : هي مدينة تونسية ،بلد بربري النشأة و معناه البربري المساكن ج مسكن و كانت تسمى في عهد الرومان زيغو و قد انتشرت زغوان بالأطعمة الأندلسية .انظر :عثمان عكاك ،مرجع سابق ،ص35.

[6] نصر الدين سعدوني :الأوضاع...،مرجع سابق ،ص36 48.

المطلب الثاني:الوسائل و الطرق التجارية بين الشرق الجزائري و تونس.

أولا –وسائل النقل :

كانت وسائل النقل تختلف من مكان لآخر ففي التل يستعمل التجار الجمال و البغال لحمل السلع و الخيل للأشخاص و في الصحراء كانوا يستعملون الجمال و الحمير المصرية [1] لهما معا وهناك طريقتان مشهورتان للقيام بعملية التنقل أولها نظام القافلة بحيث تضم هذه القافلة مجموعات متعددة و تجار لا تربطهم سوى المصلحة للطريق التي لابد لدليل أو أكثر لبلوغها [2].

فيعتبر نظام القوافل من أقدم و أشهر الوسائل في نقل البضائع لمسافات بعيدة طويلة ،ساهمت هذه الأخيرة في تنمية العلاقات و ازدهار كما توطدت عبرها صلات ثقافية و روابط اجتماعية [3].

فعلى القافلة أن تتقيد بالعديد من المستلزمات من أجل الحفاظ على سلامتها فهي يجب أن تختار مسئول عن الرحلة و تعين الإمام الذي يتولى إمامه القافلة رفقة الطبيب المعالج تحسبا لأي طارئ عضوي يصيب احد أفراد القافلة بالإضافة إلى الكاتب المكلف بتسجيل كافة عقود البيع و الشراء أثناء الرحلة و تسجيل الوفيات إن وجدت في القافلة ،كما يصطحب البراح الذي تسند إليه مهمة التبليغ بصوت عال على أي حدث يقع أثناء الرحلة.

وقد تعترض القوافل أثناء مسيرتها عراقيل كهجومات اللصوص و قطاع الطرق من البدو

---

[1] الحمير المصرية:هذا المصطلح لم احصل على ترجمته فيما توفر عندي من مادة علمية

[2] العربي الزبيري :التجارة الخارجية ...،مرجع سابق ،ص 68.

[3] حصام صورية : مرجع سابق ،ص 147.

و الرحل و الطوارق [1] عن طريق الإغارة أو السلب لذا على القافلة ان تتخذ احتياطاتها و تصحب أدلاء عارفين لمسالك الطرق و العصابات و أساليب هجومهم و تحاط بعديد من الحراس لضمان امن القافلة فيختارون الأقوياء و الأشداء كما يراعي غالبا تنويع انتمائهم للقبائل حتى يكثروا أنصارهم و يصعب الاعتداء عليهم [2]،أما الطريقة الثانية هي التجمع أو القبيلة السيارة التي تنتقل بكاملها و هي أبطء من الأولى لكنها اضمن بالنسبة للتجار .

ثانيا: الطرق التجارية

كانت تربط بين قسنطينة و تونس طرق تجارية تمر من خلالها القوافل يوميا و منها الطرق السلطانية و منها الجهوية فالطرق السلطانية هي الطرق التجارية الكبرى التي تربط بين أقطارها العربية الثلاثة.

1 /الطرق التي تربط بين الأقطار العربية الثلاثة –تونس والجزائر و المغرب –مرورا بقسنطينة

الطريق العرضاني الشمالي: كان يربط بين تونس يقاس مرور بمدن الكاف [3]و قسنطينة وسطيف و حمزة الجزائر و وهران وتلمسان ووجدة

[1] الطوارق :من أشهر فبائل البربر و سماهم البعض بالتوارك ظلوا يعتزلون العرب و يناصبونهم العداء و يتربصون بهم الدوائر ،و الطارق وسيم قارع الطول عريض الأكتاف مهب الطلعة تشع من عينه حيوية و شراسة يلبس رجال الطوارق لثاما اسود و ازرق و ابيض لا يخلعونه حتى أثناء تناولهم الطعام .انظر :حسين محمد جوهر :شعوب العالم تونس ،دار المعارف بمصر ،1981،ص71.

[2] كوثر العايب:مرجع سابق ،ص 57.

[3] الكاف :مدينة تونسية تقع بمنطقة التل العالي على مسافة حوالي ثلاثين كيلومتر من الحدود الجزائرية لا نعلم متى تأسست لأول مرة ذكر اسمها في النصوص القديمة 241ق م في معرض الحديث عن الجند المرتزقة الذين وجهتهم إليها قرطاج على اثر الحروب البونية .انظر :محمد طالبي :دائرة المعارف التونسية ،**عدد خاص في تاريخ إفريقيا** ، المجمع التونسي للعلوم و الآداب و الفنون ،بيت الحكمة ،تونس ،1994،ص164.

الطريق العرضاني الأوسط :يربط بين قفصة بمدينة فكيك مرورا ببسكرة و الأغواط و البيض وسيدي الشيخ .

الطريق العرضاني الجنوبي :يربط نفطة بتافلات مرور بأهم واحات الجزائر [1].

الطريق القطري الغربي :يربط واد سوف بالعاصمة ويمر بمدينتي بسكرة بوسعادة .

الطريق القطري الشرقي :يربط واد ميزاب بتونس مرورا بمدن الأغواط و قسنطينة

طريق واد سوف غدامس :يتصل هذا الطريق بالطريق العرضاني الجنوبي في المكان المسمى بئر جديد و هو أصعب و لا يقطع في اقل من ثلاثة عشر يوم .

طريق ورقلة غدامس :يقطع في عشرة أيام محفوف بالمخاطر .

طريق غاط :عين صالح الجبلي و هو صعب و لا يقطع في اقل من عشرين يوم [2].

2 / أهم الطرق التجارية الرابطة بين الشرق القسنطيني و تونس.

كانت تربط بين الشرق الجزائري و تونس طرق رئيسية تتنقل من خلالها القوافل التجارية اهمها :

طريق تونس :الذي يبدأ من قسنطينة يسير نحو الجنوب ليمر بالخروب تم يرتفع نحو الشمال الشرقي أين تتواجد عدة قرى تمر عليها القافلة من أهمها قرية واد الزناتي و قرية مجاز عمر و سوق أهراس ثم يصل إلى مدينة الكاف و منه الى مدينة تونس و لقطع هذا الطريق تدوم مدة السفر عشرون يوم [3]

[1] العربي الزبيري :مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث ،ط2،دار الحكمة ،الجزائر ،2015،ص126.

[2] العربي الزيري ، التجارة الخارجية ،مرجع سابق ،ص67.

[3] حصام صورية :مرجع سابق ،ص150.

طريق قفصة [1]نفطة [2]:الذي يبدأ من مدينة واد سوف تم سير شمالا نحو محطة قمار [3]حيث تنقسم فيخرج منه فرع يتجه مباشرة إلى مدينة نفطة و يواصل الأصل نحو الشمال الشرقي إلى قرية فرن[4] حيث ينظم تجار الزيبان إلى القافلة و بعد ذلك يميل أكثر إلى الشرق ليقف في مدينة قفصة .

إذا كانت المسافة مابين الوادي و نفطة لا تتطلب سيرا أكثر من ثلاثة أيام عادية فان الذهاب إلى قفصة يستلزم أكثر من خمس أيام و على العموم فالطريق سهل فيه الكثير من المياه و لا تتعرض فيه القوافل إلا لبعض الكمائن التي ينصبها من حين إلى أخر سكان واحة غدامس لنهبها تنكلا بأبناء واد سوف [5] .

طريق نفطة غدامس: والذي ينطلق من تقرت ثم يتجه نحو الشمال ليمر بمحطة الفيض [6]حيث ينظم تجار بسكرة إلى القافلة وبعد ذلك يعود نحو الجنوب الشرقي ليصل إلى كوبين [7]ومنها يأخذ اتجاهين أساسين أحدهما شمالا نحو مدينة نفطة مباشرة وثانيها نحو الجنوب إلى سوق غدامس مرور بمحلة بئر جديد.

---

[1] قفصة :مدينة تونسية تقع على بعد 300كلم في الجنوب الغربي من تونس العاصمة كانت تسمى كبسة من لفظ بربري و كانت أول مركز للحضارة في العصر الحجري و الإنسان الأول بالديار التونسية و حتى الإفريقية .انظر :عثمان عكاك :مرجع سابق، ص77.

[2] نفطة :عاصمة عاصمة بلاد الجريد تشمل المدن التالية توزون و الوديان و الحامة .انظر:العربي الزبيري :التجارة الخارجية ،مرجع سابق ،ص154.

[3] قمار : مدينة تقع على بعد حوالي 14كلم من مدينة الوادي .انظر : العربي الزبيري :مرجع نفسه ،ص154.

[4] فرن : مدينة صغيرة تقع بين قمار و والوادي . انظر :العربي الزبيري ،مرجع نفسه ،ص154.

[5] العربي الزبيري :مرجع نفسه،ص154.

[6] الفيض :مدينة صغيرة وسط سهول خصبة و واسعة تبعد عن بسكرة بحوالي عشرين ميل .انظر العربي الزبيري ،التجارة خارجية ،مرجع نفسه ،ص156.

[7] كوبين :قرية صغيرة تبعد عن الوادي بحوالي ميلين و نصف تقع بين قمار و الوادي . انظر : العربي الزبيري : مرجع نفسه ،ص156.

طريق غدامس: الذي يخرج من ورقلة و يتجه مباشرة نحو الشرق عبر الفيافي الى أن يصل إلى مدينة غدامس و هو طريق صعب للغاية معطى بالكثبان الرملية المتنقلة و يتطلب قطعة عشر أيام من السير السريع، تطوي القافلة إثنائها مئة و ستين ميلا لا تجد فيه المياه سوى مرة واحدة على بعد ثلاثة أيام من المنطلق ،ومع ذلك فان تجار ورقلة يسافرون باستمرار ا والى هذه السوق التي تلقى فيها قوافل تونس و طرابلس و السودان و الجزائر [1] انظر(الملحق ص90).

[1] العربي الزبيري : مرجع سابق ،ص157.

المبحث الثاني: العلاقة السياسية بين بايلك الشرق وتونس.

المطلب الأول: مشكلة الحدود بين الشرق القسنطيني والغرب التونسي.

من المفروض أن يكون الحد أو التخم مرسوما بحد و مجال سياسي معين وعلى هذا الافتراض تكون الحدود شكلا من أشكال الممارسة للسلطة و التي أثير اختلاف كبير عبر المراحل التاريخية وعلى مختلف بلدان العالم حول الحدود، ففي العصر الوسيط كانت التنظيمات مبنية على العلاقات الشخصية أكثر مما كانت مبنية على العلاقات الاجتماعية و السياسية و تظهر الدولة الحديثة عرفت الحدود تطورت في الأحداث و التطورات باستعمال القياس الخطي حديث و صار ذا طبيعة إقليمية و مظهر للسيادة و صارت الحدود تؤدي وظائف كثرة نذكر منها أربعة :

الوظيفة القانونية :و تتمثل في سيطرة مجموعة من التنظيمات و الأشخاص داخل مجال محدود كالدولة وظيفة مالية كفرض الضرائب على المنتجات الاجنبية و حماية السوق المحلية ووظيفة الرقابة كان تتولى السلطة الرقابة على الناس و اموالهم ومواطن تواجدهم ووظيفة عسكرية سياسية كفرض سياسة الحاكم على اقليم معين [1].

فقد لعبت مشكلة الحدود بين تونس و الشرق الجزائري دور كبير في تازم العلاقات السياسية ،حيث تعود أصول مسالة الحدود إلى المشاحنات و الصراعات القائمة بين مختلف القبائل المتاخمة لحدود التماس بين البلدين حول أراضي المراعي [2].

---

[1] أحميدة اعمراوي :علاقة بايلك ...،مرجع سابق ،ص18.

[2] حنفي هلايلي : أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،دار الهدى ، الجزائر ،2008 6،ص46.

فكانت تقيم في المنطقة التي بين لواء قسنطينة و تونس عدد من القبائل الشرسة و الفوضوية و المتمردة و كانت و أهم هذه القبائل الخنينشة [1](الحنانشة)و هؤلاء ينقسمون إلى فخذين احدهم الأحرار هم يقيمون في تبسة و الثاني ابن شوف يقيمون في الكاف فكان على حاكم قسنطينة أن يخصص لهؤلاء فرقا من المحافظين و كان الاحرار تابعين للجزائر و بن شنوف تابعين لتونس .

فأوجبت هذه المنازعات عل تعين الحدود بين تونس و الجزائر في سنة 1614و كانت أول مرة تقام الحدود بين البلدين [2]وأ قيم أول حدد بين تونس و الجزائر و تم ذلك في عهد حسين باي قسنطينة (1608–1622)و يوسف داي حاكم تونس (1610–1637)إلى غزو مدينة قسنطينة لكنه انهزم و جيوشه أمام أسوار المدنية هزيمة نكراء [3]و كان ذلك في معركة السطارة قرب مدينة الكاف في 17 ماي 1628حيث أجبرت الحكومة التونسية على إبرام اتفاق جديد لضبط الحدود [4]جاء فيها ما يلي :

1 يبقى مجرى واد سرات [5]هو الحد الفاصل بين البلدين في المناطق الجنوبية .

2 يقوم التونسيين بتهديم المراكز العسكرية التي أسسوها في المناطق المتنازع عليها .

3 يتواصل تحديد الحدود هكذا بين البلدين من واد ميلاف البدء من نقطة الاحشير إلى الكرش فقلوب النيران ورأس جبل الحافة و من هناك إلى البحر انظر (الملحق ص 92).

---

[1] الخنينشة :يقصد بها الكاتب قبيلة لحنانشة حيث يؤكدها الدكتور اعمراوي أحميدة و ما يفسر ذلك ان الكاتب ليس عربي اللسان و تم التحقق من ذلك من ترجمة الكاتب عزيز سامح في كتابه الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ،و قبيلة الحنانشة نسبة إلى الجد حناش المنحدر من قبيلة هوارة البربرية .انظر :عمراوي أحميدة :مرجع سابق ،ص25.

[2] عزيز سامح :الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ،تر:عبد السلام ادهم ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1969،ص297.

[3] احمد بن المبارك بن العطار: مصدر سابق ،ص 26.

[4] حنفي هلايلي :مرجع سابق ،ص46.

[5] واد سرات :واد يتجه نحو الجنوب لايالة تونس . انظر : حصام صورية :مرجع سابق ،ص10.

4 الذين يعبرون الحدود من أي من البلدين ولايتهم الإعلان عنهم من طرف الدولة يعتبرون متخلين عن بلدهم و يعتبرون من اختصاص البلد الذي اختاروا الاستقرار فيه [1].

المطلب الثاني: مظاهر التوتر بين الشرق الجزائري وتونس.

أولا: في زمن الأسرة المرادية.

في سنة 1700 حدثت معركة بين القوات التي كان يقودها باي قسنطينة و التونسيين و قد خرج منها مراد باي حاكم تونسي منتصرا و ارتكب مجزرة من الأسر بلغ عدد ضحاياها خمس مئة من الانكشارية و أرسل أذانهم إلى تونس دليلا على أنصاره[2] فقد حاصر مدينة قسنطينة مدة طويلة و التي قاربت خمسة إلى الشهر و يعد ذلك النصر إلى العدد الكبير من الجند بالإضافة إلى الأسلحة الضخمة التي استعملتها تونس[3].

لكن هذا النصر لم يدم طويلا فمع وصول الخبر إلى مسامع الداي حسين شاوش (1698-1700) حتى استقال عن منصبه وخلفه الداي الحاج مصطفى الذي كان جنديا قويا، وقد نضم الداي حملة لفلك الحصار الذيشنه المراد باي فهاجم معسكر التونسيين خلال الليل و حقق نصرا حاسما ليتمكن من تحرير قسنطينة و سحق القوات التونسية بالقرب من سطيف (العلمة) بتاريخ 7 أكتوبر، كما قام الداي مصطفى بارتكاب مجزرة ضد الموالين لمراد باي

أما الأتراك فقد سمح لهم بإنقاذ جنودهم وذلك بالتجنيد في الفرقة الانكشارية الجزائرية و سجن خلالها حوالي ألفين تونسي [4].

---

[1] صالح بن العنتري : فريدة منسية ..،مصدر سابق ،ص35.

[2] حنفي هلايلي :مرجع سابق ،ص47.

[3] حصام صورية :مرجع سابق ،ص31.

[4] حنفي هلايلي:مرجع سابق ،ص48.

وفي سنة 1702 جهز مراد باي جيش و غادر تونس بعد أن أخفى عن جنوب وجهة سفره و في اليوم التالي قصد الوجهة و بين للعسكر الزحف على الجزائر فظهر عليهم عدم الرضا ،فقتل إبراهيم شريف [1] مراد بك مستغلا الشعور الذي كان في العساكر و انتقل إلى تونس أين تقلد الحكم ،فقتل كل أطفال مراد باي و أفراد أسرته وقضى على جذور الأسرة المرادية و في نفس السنة عقد صلح مع الجزائر [2].

ثانيا: في زمن الأسرة الحسينية.

في ظروف عصبية من صيف 1705 تولى مقاليد الحكم رجل يدعى حسين بن علي تركي [3] حيث كان ذلك بعد انهزام إبراهيم الشريف و أسره في منتصف شهر جوان 1705وجدت البلاد نفسها مهددة بغزو وشيك شنته عليها عساكر داي الجزائر فعملت في البلاد موجة من البلبلة و الاضطراب و تنصب أصحاب الحل و العقد من علماء تونس و مشايخها حسين بن علي[4] لكنه في البداية أبى إلا أن العلماء أصروا على قبوله فقبل و دخل معهم في الحاضرة لقبول الدعوة و على الرغم من أن ولايته شرعية لأنه لم يطلبها و لم يسفك دماء لطلبها فانه طلب تحديد مبايعته مرتين المرة الأولى لما صمم على تحرير البلاد من القوات الجزائرية و المرة الثانية كانت لتصدي للتمرد الداي محمد الأصفر الذي حاول لإعادة سلطة الدايات فقد جاء حسين بن علي للقضاء على القوات الجزائرية التي كانت مرابطة في التراب التونسي منذ هزيمة إبراهيم الشريف، وقد بطش بهم الباي حسين و أرجعهم إلى ما وراء حدودهم سنة 1705[5]،إلا أن الحرب لم تنتهي و توالت عدة حروب نذكر منها :

---

[1] إبراهيم الشريف :هو ضابط تركي عمل على قتل مراد باي وكان له ذلك في جوان 1702بأوامر من اسطنبول بان يضع حد التجربة المرادية .انظر : محمد الهادي الشريف:مرجع سابق ،ص80.

[2] عزيز سامح :مرجع سابق ،ص328.

[3] حسين بن علي : هو حسين بن علي تركي الأصل من كندية بجزيرة كريب عمل في خدمة المرادين و تولى كبرى الوظائف و اظهر شجاعته فكانت له سيادة البلاد التونسية .انظر :حسين مؤنس :مرجع سابق ،ص380.

[4] محمد الهادي الشريف :مرجع سابق ،ص81.

[5] رشاد الإمام :سياسة حمودا باشا ...،مرجع سابق ،ص58

حرب 1705:

فبعدما هاجم الباي حسين القوات الجزائرية و أرجعهم إلى ما وراء الحدود بقيت هذه القوات متمركزة في الحدود بمنطقة الكاف فاجمع أعضاء الديوان التونسي لمناقشة الوضع و النضر فيه بالإضافة إلى النظر في المكتوب الذي بعثه الداي مصطفى إلى حسين باي حاكم تونس من اجل التفاوض و جاء في تلك المفاوضات مايلي :

حاول الوفد التونسي اقتناع الداي بإصدار أمر إجلاء القوات الجزائرية من منطقة الكاف و الرجوع بدون حرب لان هدفه قد تحقق و أن دخول تونس من جديد سيجلب الهلاك للطرفين كما وضح احد العلماء التونسيون أن حالة الرجوع اعتداء و انتهاك حرمة المال و النفس و قد أكد داي الجزائر أن نيته عكس ما يضنون و انه لا يقصد سفك الدماء و إنما هدفه من الدخول إلى تونس من جديد هو نشر السلم و الطمأنينة ،فبقيت تراود الجيش التونسي أفكار عن إذا كان بقاء الجيش الجزائري على الأراضي التونسية يهدف إلى السلم أم نيته الهجوم خاصة بعد ما تمت بيعة الباي حسين حاكما على تونس دون استشارته [1].

انتهت المفاوضات بالفشل و طلبت مفاوضات أخرى من جديد فكانت في سبتمبر 1705إلا أنها باءت بالفشل فاضطر باشا الجزائر و باي قسنطينة ان يستنجدوا بقواتهم مخافة أن تنطلق عليهم القبائل خاصة بعد أن نجحت في مصادرة قافلة التموين القادمة من عنابة [2] دخل الجيش الجزائري إلى تونس في 28أوت 1705و استمرت الحرب و توالت المعارك تقارب شهر لكنه بدأت تطهر علامات التعب في أواسط الجيش الجزائري ، فطلب الداي مصطفى إعلان توقف القتال و السلم لكن الديوان التونسي رفض ذلك فاستمر القتال لكن فيما

[1] حصام صورية: مرجع سابق ،ص40 41.

[2] صالح العنتري:مرجع سابق ،ص52

بعد رحلت القوات الجزائرية من تونس متوجهة إلى الجزائر و هي تحمل على عاتقها هزيمة نكراء في أوت 1705[1].

حرب 1713.

مشى فيها حسن بوكمية [2]إلى تونس فأخذها و قتل صاحب و ولايتها و السبب في ذلك أن أصحاب مملكة تونس وقع بينهم التحاسد على الولاية و كل واحد منهم يدعيها لنفسه ففر واحد منهم إلى الباشا بالجزائر و استغاث به فقبل كلامه و جهز له عساكر و بعث معه الباي بوكمية و أرسل إليه جوابا قائلا فراه قادم اخو صاحب ولاية تونس و بيده عساكر من عندنا فيجب أنت تنظم ما استطعت من عساكر و اعمل معه و كل جهد بالتأويل و كن له مصاحبا في الإقامة و الرحيل ، فلما وصل ذلك الجواب إلى الباي بوكمية قام على ساق الجد و نظم عساكر وجند ثم تقدموا جميعا للسفر بالعزم و الاجتهاد قاصدين إلى تونس و كان الخبر وصل إلى صاحب ولاية تونس تراه نهض في الحال و رتب عساكر أو محال و خرج معهم و نزل بناحية القيروان و بقى مقيما هناك لأجل مطاردة العرض القادم إليه من الجزائر فلما وصل إليه الباي قابله العساكر الجزائرية و نشأت بين الجانبين الحروب العظيمة و المقاتلة الشنيعة فانهزم عسكر تونس و هرب صاحب ولايتها الى مدينة القيروان وأما ناس تونس فتلاشوا خوفا و تفرقوا غربا و شرقا و عند ذلك نادى منادى الأمان ثم أن صاحب ولاية تونس الجديد عقد شروطا مع بوكمية و التزم بأدائها إلى الجزائر [3] .

---

[1] حصام صورية :مرجع سابق ،ص 38

[2] حسن بوكمية :هو قليان حسين تولى حكم بايلك الشرق سنة 1713 كان رجلا نشيطا و قويا مما ساعده على البقاء في الحكم 23عاما وضع حد للقلائل و الاضطرابات التي كانت في البايلك . انظر : محمد الصالح بن العنتري :فريدة منسية ..، مرجع سابق ،ص54

[3]صالح بن العنتري:فريدة منسية،مرجع نفسه،ص55.

حرب 1735.

نشبت هذه الحرب بسبب اختلاف باي تونس حسين بن علي مع حفيده علي باشا و اندلاع الحرب بينهما و لجوء هذا الأخير إلى الجزائر و احتماؤه بالداي الذي قبل لجوءه و رفض أن يقبله و كان سبب قبول الجزائر هو امتناع الحسين بن علي من دفع الضريبة للجزائر و اكتفى الداي أن يدفع له حسين بن علي الجزية السنوية مبلغها عشرة ألاف سكين لكن الباي التونسي رفض عام 1735دفع هذا المبلغ فقرر داي الجزائر نجدة علي باشا و تجهيزه بقوات للسيطرة على العرش[1]

فخرج جنود الداي ممن الجزائر و خرج حسين كلياني باي قسنطينة معهم إلى تونس و خرج حسين بن علي من تونس بجنوده و عساكره حتى نزلوا بموضع يقال له سمنجة بينه و بين تونس أربعة عشر فرسخا و نزلت محلة الجزائر و حسين كلياني في مقابلة فمكث ستة عشر يوما خرج الجزائريون على تعبئة من محلتهم آخر الليل و قصدوا المحال التونسية و ركب حسين كلياني في خيله وعساكره و كان له معرفة في الحرب و لم يمض مع محلة الجزائر بل مشى وحده بجنوده و قصد البرية حتى خرج خلف محلة تونس ،ولما التقى الجمعان اشتعلت نار الحرب و رحى الطحن و آلت النصر إلى المحلة الجزائرية فملك ما فيها من الاخبية و الأسلحة و المدافع و خرج حسين بن على سلطان تونس [2] ثم نصب علي باشا على تونس و قد استغل حسن باي قسنطينة هذه الحادثة فبادر بحمل خزائن علي باي إلى قسنطينة و جمع الأموال الطائلة مثل مصادرة الحلي و المجوهرات الخاصة بنساء القصر [3]

لكن بعد مرور نسبي قارب السبع سنوات دفعت النزعة الاستقلالية لعلي باي و إعلان قطيعة عن ايالة الجزائر متجردا بذلك من اي تبعية اتجاهها و عليه فالقوات الجزائرية تحركت

[1] صالح بن العنتري :مرجع نفسه ،ص56.

[2] احمد بن مبارك العطار :مرجع سابق ،ص128.

[3] حنفي هلايلي :مرجع سابق ،ص48 49.

مجددا بمعاقبة هذا التمرد و لكنها فشلت أمام أسوار مدينة الكاف نظرا لقوتها و تحصنها ، وبعد مصي عشر سنوات استغلت الجزائر فرصة وفود أبناء الحسين بن علي [1] الذين كانوا قد لجوء و إلى قسنطينة فقرر الباي حسن المدعو ازرق عينوا تقديم يد المعونة إليهم سنة 1756 انتهى عهد التدخل الجزائري في قضايا تونس نهائيا [2]

عاشت الجزائر و تونس سلام نسبي لكنه تعكر عام 1807 بإعلان حمودا باشا انسلاخا من كل الالتزامات التي تربطه بالايالة الجزائرية و مهاجمة قسنطينة [3].

حرب بين حمودا باشا على قسنطينة :

و يعود سببها إلى أن بعض قبائل غرب الايالة التونسية كانت منذ بضع سنوات في حالة تمرد ضد حكومتهم و كان حسن الكبير قائد علي باي مكلفا بقمع التمرد و استعمال القسوة الكبيرة لذلك و تسليط القمع و بصفة خاصة عل احدي القبائل التي كانت أكثر تمردا و التي تتكون من الأعراب الرحل و قد قطعت هذه القبيلة الحدودية و تمركزت بخيامها و ماشيتها على إقليم قسنطينة في جنوب تبسة [4] .

حيث كانت تلك الفترة تصادف حكم على قسنطينة في تلك الفترة لم يهتم الحكم التونسي بشان القبيلة الفارة إلى الجزائر فتناسى حمودا باشا الأمر نظرا لانهماكه في حل مشاكله الخارجية ،لكن بعد مرور سنوات بالضبط في سنة 1783أرسل باي قسنطينة مندوب إلى حمودا باشا يطالب بدفع مبلغ تعويض قدره 400000 سكين [5] فاندهش حمودا لهذا الخبر المفاجئ فأجاب إجابة غامضة و كانت بسرعة داي الجزائر ليطلعه على ماجرى و يخبره بأنه

[1] كوثر العايب :مرجع سابق ،ص35.

[2] حنفي هلايلي :اوراق في تاريخ الجزائر ،مرجع سابق ،ص44.

[3] كوثر العايب :مرجع نفسه ،ص37.

[4] أوجين فايست :مرجع سابق،ص38.

[5] حصام صورية : مرجع سابق ،ص89.

سيقطع علاقة معه إذا أبدا مطالب باي قسنطينة العجيبة و في نفس الوقت نضم جيشا في حالة ما غزاه جيرانه فأمر خفية بالاستعداد للحرب وقاد شخصيا فيلقا من الجيش و انتقل أولا الى منطقة الجريد و من ثم توجه نحو قبائل الغرب لينذرها عن القيام باي حركة تمردية و ليوطد سلطته على هذه القبائل و هو في اشد الحاجة إلى مساعدتها لكن حدث عكس ما كان يتوقعه [1] .

حيث أن صالح باي كان بالمرصاد له وعدل عن الحرب و كاتب صالح باي و أرسل إليه الهدايا ، واتفق معه على دفع تعويض بمبلغ 25ألف سكين و ذلك في جوان 1784و بقى الأمر هذا بين البلدين لغاية مطلع 1787 ثم هاجر عدد من سكان قسنطينة فجاء إلى تونس و اتهم صالح باي حمودا باشا لتحريضهم على ذلك و ألف جيشا من 6000رجل لغزو تونس و فعل مثله حمودا باشا و جند 5000 تركي و كرغلي و عدد من الأعراب غير انه تخوف وفضل الدخول في مفاوضات مع أوجاق الجزائر ووافق على دفع التعويضات عن خسائر الحرب مرغما لان البنادقة كانوا يهددونه كذلك بالهجوم على بلاده [2].

حرب 1807.

في سنة 1807 حاول الحسين التونسي غزو مدينة قسنطينة بالتحديد في يوم 24يناير حيث اتجهت في طريقها لقسنطينة [3]حيث كانت تلك الفترة تصادف و حكم حسين باي بن صالح باي قسنطينة و لم يكن له شهر بعد توليه منصبه الجديد حتى جهز جيوشه لصد الجيش التونسي في عدد يبلغ أكثر من 50ألف جندي و كانت النجدات لم تصله من الجزائر [4] في الوقت الذي كان فيه حمودا باشا يغتنم الفرصة و يستعد بعساكره و جنوده وساق رعيته بنسائها و ذريتها و أموالها و جمع من العساكر و الخيل ما يزيد عن مئة ألف و كاتب مشايخ رعية

[1] أوجين فايست :مرجع سابق ،ص38 39.

[2] صالح بن العنتري :فريدة منسية ..، مرجع سابق ،ص64.

[3] حنفي هلايلي : مرجع سابق ،ص50.

[4] أوجين فايست : مرجع سابق ،ص123.

قسنطينة مثل الحناشي و شيخ الأوراس وشيخ العرب و أهل مجانة وبذل الأموال و استمال الناس إليه ووعدهم بالخير العظيم على أن يكونوا معه يخذلوا باي قسنطينة و خرج وزيره بتونس بالات عظيمة من مدافع وحمل المتفجرات الكبيرة على خمس مئة جمل كل جمل يحمل سوى الكور أو الكنبرة [1]و غير ذلك مما لم يأت به احد من قبله [2] ، ولما وصلت قريبا من قسنطينة خرج إليها حسين بن صالح بجيش قليل فتقابلوا و نشأت الحرب بين الفئتين فوقعت الهزيمة على باش قسنطينة و هرب إلى ناحية جميلة و حينئذ تقدمت الجيوش التونسية و نزلت مقابل البلاد و كانت جيوش 30يوم وهي مقيمة بالحروب و القتال مع ناس قسنطينة و تمادى القتال في الليل و في النهار برمي المدفع من الجانبين و طال الحصار .

وأما الباي حسين هرب و بعث خبرا لباشا بشان جيوش تونس النازلة بطرف قسينطينة و محاصرتها بالقوة ، فلما وصله الخبر انشأ محلتين من الفرسان و العسكر فبعث محلة العسكر في البحر و محلة الفرسان في البر فما كان من أيام قلائل ألا و قد وصلوا تلك المحلتين و قابلو محلة تونس بطرف قسنطينة فركبوا آلة حربهم و وصارت بينهم مقتلة عظيمة [3].

و اشتد القتال ثلاثة أيام بين الطرفين بضراوة لا مثل لها و كان النصر في النهاية حليف الجزائريين ، ولاذ القائد التونسي حفاظا على بقايا جيوشه من التلف الشامل بالفرار محلفا وراءه مساحة كبيرة مغطاة بالجثث و تركوا ثروات جيشه الوافرة و أمتعتهم و عتادهم الهائل و القي 500 و 600 تونسي السلاح و أرسل إلى الجزائر أربعين بغلة محملة بلأذان كغنمية للنصر ، هكذا انتهى لمجد القسنطنين لهذا الحصار الذي هو من أكثرها رسوخا في الأذهان من كل الحصارات التي عرفتها المدينة[4]

---

[1] الكنبرة : كلمة تركية و أصلها القمبرة بفتح القاف و تسكين النون و ضم الباء و هي الكرة .انظر :احمد بن مبارك العطار ،مرجع سابق ،ص118.

[2] احمد بن مبارك العطار :مرجع نفسه ،ص 118.

[3] محمد الصالح بن العنتري :فريدة منسية ، مرجع سابق ،ص 75.

[4] اوجين فايست :، مرجع سابق ،ص125،124،

إلا أن النزاع تجدد من جديد في سنة 1808 إذ هاجم الرايس حميدو البحرية التونسية و كان ذلك انتقاما على ما فعله حمودا باشا بقسنطينة سنة 1807 و لم ينتهي الصراع بين الطرفين حيث أنهكت القوتين مما اثر في الأوضاع الاقتصادية و العسكرية ، و لم تنته الحرب بهزيمة الجيش التونسي في سنة 1808 توالت بعدها أحداث عديدة و لم يتوصل كلا الطرفين لوضع حد للنزاع الا بعد توسط من الباب العالي سنة 1817 بينهما إبرام الصلح بين الطرفين تحلى على أثرها الطرف الجزائري على أثرها الطرف الجزائري على المطالبة بالإتاوات المعتادة [1].

حيث كان هدف الباب العالي هو تقوية الصف العثماني الإسلامي في الوقت الذي كان يواجه فيه تحرشات من كل جهة و على الرغم من حدة النزاع قلت إلا أن العلاقات استمرت مشوبة بالحذر و يتضح ذلك من خلال موقف بايات تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر [2].

حيث لم ينسى بايات تونس العداء التقليدي لهذا كان موقفهم المؤيد من احتلال الفرنسي للجزائر و رفضهم لأية مساعدة للجزائر كان نتيجته ابتلاع فرنسا لكل من الايالتين [3].

المطلب الثالث: مظاهر السلم بين تونس و الشرق الجزائري .

دام السلم بين الايالتين لسنوات طويلة قاربت الثلاثين سنة تخللته بعض المناوشات فقد وقع تعاون عسكري بين الايالتين و ذلك من اجل إخضاع قبائل متمردة ، حيث كان للأوضاع الداخلية بين الايالتين تأثير كبير على مجرى العلاقات كما نجد أن شخصية بعض الحكام كانت تميل إلى السلم حيث كان حسين باشا منذ توليه الحكم في تونس يسعى إلى الصلح و الدليل على ذلك هو التحالف الذي حدث بين بايات تونس و بايات قسنطينة من اجل إخضاع قبيلة الحنانشة المتمردة سنة 1724، فقد رفض شيخ هذه القبيلة دفع ما عليه من ضرائب

[1] حنفي هلايلي :مرجع سابق ،ص 52.

[2] اعمراوي احميدة :مرجع سابق ،ص 65.

[3] حنفي هلايلي:مرجع سابق،ص 52.

السنوية حيث كانت هذه القبيلة تعلن ولائها في بعض الأحيان إلى تونس و في أحيان أخرى إلى الجزائر مما جعلت كل من حاكم تونس و باي قسنطينة حسين بوكمية يتحدان من اجل إخضاعها[1] .

فقد كانت هذه القلبيلة تحتل المرتبة الثالثة من حيث القوة بعد قوة باي قسنطينة و قوة الأسرة الحسينية في تونس و هذه المكانة كانت محكومة بعوامل أساسية منها استغلال موقعها الحدودي بين الايالتين التي تضاربت مصالحهما ، وهو ما جعل هذه القبيلة لا تدفع الضرائب إلى كلا النظامين الجزائري و التونسي ، بالإضافة إلى عامل المصاهرة خاصة مع بايات تونس و من ذلك ان الشيخ منصور زوج ابنته لعلي باي تونس و عقد حلفا نع القبائل الأخرى [2].

كذلك من بين مظاهر السلم هو تلك المساعدات التي كانت بين بايات التونسيين الفارين من بلادهم قصد الاستنجاد و من بين هذه المساعدات مساعدة بايات تونس علي باشا على جده حسين باي و توليته العرش سنة 1735[3]،كذلك مساعدة ابنه يونس باشا ضد أبيه سنة 1752حيث هرب هذا الأخير إلى قسنطينة و بقي فيها إلى غاية وفاته سنة 1768و لم تنتهي عند هذا الحد بل استمرت بعد وفاته مع ابنه إسماعيل الذي التحق إلى الجزائر في نفس السنة لمواصلة المطالبة بالعرش و تزوج من بنت احد أعيان الجزائر و أنجب منها ولدا اسمه حسنا[4].

كما وقعت كل من تونس و الجزائر معاهدات صلح نذكر منها معاهدة بين إبراهيم الشريف باي تونس و داي الجزائر الحاج مصطفى و كان ذلك في سنة 1706.[5]

كذلك في سنة 1816 حيث أرسل علي باشا تونس العالم العلامة الشيخ باش كاتب و معه الحاج يوسف للإصلاح بين الايالتين لكن الأمر بقي كما هو عليه إلى أن بعث

---

[1] حصام صورية :مرجع سابق ،ص 43 44.

[2] اعمراوي أحميدة :علاقة ...، مرجع سابق ،ص27.

[3] صالح بن العنتري : فريدة منسية ،مرجع سابق ،ص56.

[4] رشاد الامام :مرجع سابق ،ص170.

[5] صالح بن العنتري : فريدة منسية ،مرجع سابق 57

السلطان العثماني محمود خان أمر بإرسال مبعوثين من الجزائر و تونس لينظر في أمر الجميع ، فذهب من تونس رجل من خيارهم و ذهب من الجزائر من اقل الناس عقلا ، فلما اجتمعا أمام السلطان الأعظم كان كلام الرجل التونسي مقبول و مهذبا و كلام المبعوث الجزائري حماقة لكن السلطان أمر بالصلح بينهم و كتب لكل أمير بذلك، ولما وصلت الفرمانات إلى الأمراء وقع الصلح و انطفأت نار الفتنة و كان ذلك في سنة 1821[1].

[1] محمد بن ميمون الجزائري :مرجع سابق ،ص179.

الفصل الرابع: العلاقة الاجتماعية والثقافية بين بايلك الشرق وتونس

المبحث الأول: العلاقة الاجتماعية

المطلب الأول: الروابط المشتركة بين الشرق الجزائري و تونس

المطلب الثاني :القبائل الحدودية و دورها في رسم العلاقة بين البلدين

المطلب الثالث :الهجرة و دورها في رسم العلاقة بين البلدين

المبحث الثاني :العلاقة الثقافية بين بايلك الشرق و تونس

المطلب الأول : الزيارات المتبادلة بين علماء تونس و قسنطينة

المطلب الثاني :الطرق الصوفية و دورها في توثيق العلاقة البلدين

المبحث الأول : العلاقة الاجتماعية

كانت تربط بين الشرق الجزائري و تونس علاقة اجتماعية بحكم الجوار حيث إنهما إقليمان متجاوران ، بالإضافة إلى الروابط التاريخية المشتركة التي جمعتهم منذ العصور كان رابط الدم اقوي رابط جمع بين الإقليمين تجسدت في المصاهرة بين القبائل و كما كانت تربهم نفس العادات و التقاليد .

المطلب الأول: الروابط المشتركة بين الشرق الجزائري و تونس .

الأرضية الجغرافية : حيث أن البلدين متجاوران يمثلان معا كتلة جغرافية متناسقة ذات خصائص مماثلة و متشابكة كما يتمتعان بمناخ البحر الأبيض المتوسط و المناخ الصحراوي .

الدين الإسلامي و الثقافة العربية :حيث ضل الدين الإسلامي على مر التطور التاريخي لهذين القطرين أهم عامل في توحيد الشعبين .

المأكل و أصناف الأطعمة :كانت تتشابه كثيرا خاصة في وجبة الكسكسي الذي يعتبر من أشهر المأكولات في الجزائر و في المغرب العربي ككل

العادات و التقاليد :حيث إن اغلب عادات الأهالي و صفتهم في الجزائر هي بالمثل في أهالي تونس في السلام و الحياء [1] ، ففي الملبس في الريف الجنوبي لتونس مثلا كان الأعيان يلبسون بلوزة و فوقها القشابية و هي جبة من الصوف البني و يضعون فوق الرأس الشاشية[2]،أما في الجزائر و خاصة إقليم قسنطينة فيقول فندلين

[1] عبد الحفيظ موسم : الحركة اليوسفية و الثورة التحريرية الجزائرية ،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة تلمسان ، الجزائر ،2015 2016،ص14 15.

[2] كوثر العايب ،مرجع سابق ،ص 85.

شلوصر :"كان يلبس سروال ابيض و قندورة بيضاء مصنوعة من القطن و حائك تتخلله خيوط من الحرير و برنس و يرتدي عصابة بيضاء صوفية شاشية حمراء[1].

المطلب الثاني : القبائل الحدودية و دورها في رسم العلاقة بين البلدين .

كانت القبائل تعيش في المناطق الحدودية الفاصلة بين تونس و الشرق الجزائري في وسط غابات شاسعة تعتمد في حياتها على الزراعة و تربية الحيوانات [2].

فهي تتميز بالطابع القبلي و كان يحكمها شيخ ، حيث كان هذا الأخير الأمر و الناهي في تلك القبيلة و كان يحضا بمكانة مرموقة تضاهي مكانة الباي أحيانا فقد كانت له امتيازات تتمثل في حرية جباية الضرائب و التصرف بها دون مراقب مع حرية الإشراف الإداري وقت السلم فضلا عن امتلاكه لقوة كسكرية [3].

وكانت هذه القبائل في بعض الأحيان تتحالف فيما بينها و تكون ما يسمى بالصف و هو القوة العسكرية ضاربة تقف في وجه كل من اعتدى على واحد من الأطراف المشاركة في الحلف [4]

حيث كانت هناك قبائل مسيطرة على الريف القسنطيني و خاصة المناطق الحدودية نذكر منها الدواودة و الحنانشة، الدواودة وهي قبيلة تعود أصولها إلى فرع رباح و التي كان استقرارها الأول في الشرق الجزائري على يد جدها مسعود بن سلطان، تتميز هذه

[1] فندلين شلوصر :قسنطينة أيام احمد باي 1837 1832،تر و تق :أبو العيد دودو ، وزارة الثقافة ،2007،ص

[2] حصام صورية :مرجع سابق ،ص 165.

[3] اعمراوي أحميدة :علاقة بايلك ..،مرجع سابق ،ص 25 26.

[4] العربي الزبيري :مرجع سابق ،ص 42.

القبيلة بنفوذها على مناطق الشرق الجزائري ، حيث عمل العثمانيون منذ بداية حكمهم للجزائر لكسبها [1]

الحنانشة: هي قبيلة تتشكل من ثلاث فروع رئيسية و هي الشاوية و هم بربر الاوراس و هوارة و الحراكتة [2] وحيث يمتد نفوذها من تبسة إلى سوق أهراس ثم عنابة و منها إلى قلعة سنان و جبال مسيد إلى جنوب وادي مجردة و جبال قلالة و دقمة و سلسلة الكاف و جبل تلس في مساحة شاسعة تتمد بين حدود البلدين [3]

كما كانت هناك قبائل أخرى تسير على الحدود القسنطينية التونسية منها قبائل عامر الشراقة و وادي زناتي و أولاد يحي و النمامشة حيث كانت تربط الجميع أحلاف مع الحنانشة بزعامة الأسرة و أحرار الحنانشة [4]

فقد كانت هذه القبائل تؤثر على واقع العلاقة بين البلدين بشكل كبير سواء كانت بالسلب أو بالإيجاب حيث نجد قبيلة الحنانشة التي كانت تشكل ضغطا على السلطة في الجزائر و تونس منذ العهد المرادي[5]، حيث يقول عزيز سامح :"... كانت تقيم في المنطقة التي بين لواء قسنطينة و بين تونس عدد من القبائل الشرسة والتي تعرف بالحنانشة و كانت تنقسم الى احرار يقيمون في تبسة و ابن شنوف يقيمون في الكاف

[1] قشوان عبد الرزاق :مرجع سابق ،ص60

[2] الحراكتة : هي إحدى القبائل التي يقام لها حساب عند اتخاذ القرار السياسي ، فيعين لها المخزن قائدا خاصا و تشمل عين البيضاء و صدراتة . انظر :اوجين فايست :مرجع سابق ،ص 280.

[3] كوثر العايب : مرجع سابق ،ص 68.

[4] جميلة معاشي :مرجع سابق ،ص 99.

[5] كوثر العايب :مرجع نفسه،ص 69.

كانت هاتان القبيلتان تتنازعان على الكلا و المراعي و الاراضي و يسببون بذلك توتر في العلاقات بين الجزائرين و التونسين [1].

فقد تمكنت هذه القبيلة خاصة خلال القرن السادس عشر و بداية القرن السابع عشر على فرض سلطتها على حدود البلدين و على قبائل الفروع أخرى في الغرب التونسي مثل شارن و أولاد بوغانم و الفراشيش ، بالإضافة إلى سيطرتها على اسر أخرى ، ففي وقت الصيف تقيم قبيلة الحنانشة في قلعة سنان و في فصل الشتاء كانت تقيم على ضفاف وادي مجردة [2]

ولم ينحصر دور هذه القبائل في التأثير السلبي فقط فقد لعبت هذه القبائل دور كبير في توطيد العلاقة من خلال رابط الدم و يتجلى ذلك في المصاهرة التي كانت تحدث بين هذه القبائل القاطنة في الحدود حيث سعت هذه القبائل إلى الاندماج نذكر منها قبيلة أولاد احمد و سيدي محمود الجديدي المقراني الأصل [3]كما نجد قبيلة الحنانشة التي رفضت مصاهرة الحكام بقسنطينة حيث سعى صالح باي إلى مصاهرة شيخ أحرار الحنانشة إبراهيم ابن بوعزيز بن ناصر إلا أن هذا الأخير رفض مصاهرته ، بينما فعل العكس مع حكام تونس [4] في الوقت التي كانت تسعى بعض الأسر الكبرى إلى مصاهرة البايات و رفع مقامهم على حساب أسر أخرى [5].

[1] عزيز سامح :مرجع سابق ،ص297.

[2] اعمراوي أحميدة:مرجع سابق ،ص 25 26.

[3] حصام صورية : مرجع سابق ،ص 166.

[4] جميلة معاشي : مرجع سابق ،ص119.

[5] قشوان عبد الرزاق :مرجع سابق ،ص33.

المطلب الثالث :الهجرة ودورها في رسم واقع العلاقة بين البلدين .

تعتبر الهجرة من بلد إلى بلد لها أسباب و عوامل و من بين هذه الأسباب كسب المعرفة و التفقه في الدين ، كما يهاجر الإنسان طلبا للرزق و المال فقد تضيق به السبل و لم يجد منهجاه من الفقر،فقد هاجر إلى البلاد التونسية عدة عائلات جزائرية وقد جعلت الهجرة الدعامة القوية التي تشد الشعبين إلى بعضهما بعض بالرغم من تقلب العلاقات السياسية في بعض الفترات فالقرابة و صلة الرحم كانتا في كل الظروف تتجاوزان الخلافات السياسية و نقاط الحدود [1] فقد كانت هناك مدن قائمة على قرب من الحدود و من أهمها مدينة الكاف التي كانت للجزائريين قبل تأسيس مدينة سوق أهراس سوقا للتجارة و ملجأ لكسب الثروة و مركز للتبادل الثقافي ، مثلما كانت توزر و نفطة موطننا أمنا للجزائريين كما كان وادي سوف و تقرت موطني للاستقبال و نشاط التونسيين قد كانت هناك هجرة جاءت كرد فعل ضد التعسف الضريبي المسلط عليها فكانت الهجرة فرار من الالتزامات و الدليل على ذلك هي تلك الرسالة التي بعث بها الحاج احمد باي قسنطينة إلى باي تونس و التي كان فحواها :" من الواجب و اللازم إعلامكم بمن هو رعينا مثل العواودة و غيرهم أزيد من سبعين بيتا و إن أنكر هذا احد من الذين هم بجواركم فنوجه من عندنا من يقف عليهم و يقف مكانهم و يميزون فلان من فلان فإذا تقدمت أصلحك الله بردهم لبلادهم ...."[2]،كما نجد أن هناك بعض القبائل في عهد علي باي تمردت ضد حكومتها التي استعملت ضدها القمع و القسوة من اجل إخضاعها وكان تسليط القمع بصفة خاصة من الأعراب الرحل فقد قطعت هذه القبيلة الحدود التونسية

[1] دون مؤلف : المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية ،دار كرداة للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2013.ص1 2.

[2] اعمراوي أحميدة :علاقة بايلك ،مرجع ،ص100 101.

و تمركزت بخيامها على إقليم قسنطينة في جنوب تبسة بالتدقيق و في سنة 1787 هاجر عدد كبير من سكان قسنطينة إلى ألأراض التونسية [1]

ولم تكن سياسة الأتراك وحدها من الدوافع التي أجبرت الكثير على الهجرة بل أن الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية كان لها دور في هجرة الجزائريين إلى تونس فقد عانت الجزائر من المجاعة بعدة سنين حيث وقع الغلاء في القمح مدة ست سنوات و أعطى الله القحط و هو الجوع في الناس حتى صارت قيمة الصاع الجزائري أربع بجة و الناس يموتون جوعا في الأسواق قال وان الرجل كان يأكل مقدار الرجلان ولا يشبع و بعد الاكل يموت و هو يقول جعت [2].

[1] أوجين فايست: مرجع سابق ،ص38.

[2] ا لشريف الزهار :مذكرات الحاج ..،مرجع سابق ،ص 31.

المبحث الثاني :العلاقة الثقافية بين بايلك الشرق و تونس

بالرغم من المناوشات و النزاعات التي كانت بين الشرق الجزائري و تونس إلا أنها لم تؤثر لا من بعيد و لا من قريب على التبادل الثقافي الذي كان يحصل بين الطرفين ، حيث كانت تربطهم علاقة ثقافية اتسمت في مجملها الودية و تبادل المعرفة و الخبرات .

المطلب الأول : الزيارات المتبادلة بين علماء تونس و قسنطينة

من الأمثلة الحية عن التواصل الفكري هي تلك الرحلات العلمية التي كانت بين علماء الايالتين وما نتج عنها من حوار فكري و مناظرات علمية من أجلة العلماء للخروج بالعلوم من قوقعة المحلية و الركود إلى الخوض في مختلف العلوم [1]

فالتعليم في الجزائر أثناء فترة العثمانيين كان شبه مستقل يخضع لمراقبة و توجيهات نضار الأحباس، أما المواد التي كانت تدرس في المرحلة الأولى لصغار القراءة و الكتابة و القران و لما ينتقلون إلى المعاهد يدرسون العلوم الدينية و اللغة العربية و المنطق و الميتافيزيقيا و الحساب و علم الفلك و مواقيت الصلاة ثم الطب و الرسم و الزخرفة و المخطوطات و عندما يتحصل الطلبة على الإجازة يمكنهم مباشرة التعليم و الرحيل بمفردهم إلى مصر و المشرق [2].

ففي الجزائر كانت مدن تنمو بعدد سكانها و تشع بمدارسها و مساجدها ثقافة يتغذى منها الجميع روحيا و عقليا و من هذه المدن قسنطينة و بجاية و مازونة ووهران، الجزائر، عنابة ،بسكرة ففي كل مدينة من هذه المدن مساجد و مدارس و مؤسسات عامة

[1] حصام صورية :مرجع سابق ،ص 112.

[2] عمار عمورة : الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ الى 1962) الجزائر عامة ، دار المعرفة ،ج1،،ص259.

و خاصة ، فكانت مدينة قسنطينة و بجاية يحتويان على عدد كبير من المدارس و كان التعليم بجميع مستوياته منتشر في المدارس و الزوايا [1]

إلا أن هذه المدارس لم ترتق إلى مكانة الأزهر بمصر أو الزيتونة بتونس لذا كان التعليم العالي بها ضعيفا حيث اقتصر على تفسير القران الكريم و الحديث الشريف و هذا التحصيل البسيط اضطر علماء الجزائر إلى الهجرة إلى هذه المؤسسات العريقة بزيادة في تحصيل العلوم ، وهذا ما بين ضعف الناحية المعرفية و العلمية لعلماء الجزائر مع نهاية العهد العثماني [2].

في المقابل كانت الحياة العلمية في تونس منتعشة خاصة في عهد علي باي و ولده حمودا باشا و من ذلك بنائه الجامع الذي سمي باسمه كما أولى اهتماما كبير بالعلم و العلماء [3].

فكانت تونس معبر العلماء الجزائريين في رحلتهم لتأدية فريضة الحج و كانت تستغل تلك السفرة الطويلة في الجدال و المناقشة العلمية في مواضيع شتى و أحيانا تحدث مبادلات تجارية فيما بين الحجاج ، كما حرص الرحالة على زيارة المساجد و الزوايا التي توجد في المدن و المناطق التونسية التي مروا بها و سعوا إلى الانتقاء بالعلماء والفقهاء و طلبة العلم و التباحث معهم في المجالات العلمية المختلفة كما دونوا المعلومات المتعلقة بالأماكن التي زاروها في سوسة و المستير[4].

[1] ابو القاسم سعد الله :،مرجع سابق ،ص45.

[2] مصطفى عبيد :،مرجع سابق ،ص44.

[3] رشاد الامام :مرج سابق ،ص329.

[4] حصام صورية :مرجع سابق ،ص 113.

أولا :علماء قسنطينة المتتلمذين في تونس .

عاشور القسنطيني المعروف بالفكرين.

الذي نشأ في قسنطينة اخذ العلم عن والده شد الرحال الى عدة بلدان تلمسان و بلاد السودان حيث غاب عن بلاده نحو عشرين سنة و بعد رجوعه الى البلاد هاجر إلى تونس و استقر بها و انتصب للتدريس بالزيتونة [1] .

العالم اطفيش.

هو إبراهيم بن محمد إبراهيم بن سنوس اطفيش أبو إسحاق ، عالم إباضي أديب من كبار العاملين في سبيل وحدة المسلمين ولد في قرية بني سيقن بوادي ميزاب و اخذ عن محمد بن يوسف اطفيش و لازمه حتى وفاته فانتقل إلى تونس و درس في جامع الزيتونة [2].

مصطفى بن شاوش القسنطيني .

هو العلامة الشيخ أبو الوفا مصطفى بن شاوش أديب زمانه و فريد أوانه ذو علم جليل كان متعلق بمذهب ابى الحنيفة النعمان ، واخذ عن الشيخ صالح بتونس فرجع إلى قسنطينة و درس و اقرأ و خطب بالجامع الأخضر و أفتى على المذهب النعماني [3].

محمد النقاوسي :هو بن يحيى بن أبي النقاوسي القسنطيني ولد يوم 18جمادى 849هـ ولد بمدينة نقاوس اشتغل بالعلم دخل إلى قسنطينة طالبا للعلم ثم ارتحل الى تونس فاخذ الفقه من إبراهيم ألأخضري [4].

---

[1] سعودي يمينة : مرجع سابق ،ص82.

[2] عادل نويهض :مرجع سابق ،ص20.

[3]سعودي يمينة : مرجع سابق،ص83.

[4] سعودي يمينة :مرجع سابق ،ص 83.

عبد الله الحفصي القسنطيني :الذي اخذ عن الشيخ صالح الكواش بتونس ثم رجع إلى قسنطينة إلى أن اشتغل فيها بالقضاء و ألف فيها حاشية عظيمة .

أبو العباس احمد العباسي :الذي اخذ عن أبي احمد سيدي الشريف خطيب جامع الزيتونة و بعدها عاد إلى بلده و كان الشيخ ذا علم بعلم البلاغة و البيان و فن المنطق و الكلامات القراءات السبع و تولى النظر في الأوقاف و القضاء و الخطابة [1].

الحاج بن مبارك العطار :هو احمد بن محمد بن العطار عرف بكنية القسنطيني بسبب أصوله الغير القسنطينة ، قضى معظم حياته بقسنطينة التي ولد فيها 1790 و في سنين مبكرة من حياته ، انتقل إلى ميلة التي تبعد كثيرا عن مدينة قسنطينة فتلقى فيها مبادئ العربية في زاوية أسرته المعروفة بعائلة بن العطار ،شرع بقسنطينة في مزاولة التعليم بمساجدها على يد أعلام قسنطينة ، كانت له رحلات إلى أسواق تونس يهتم فيها بالتجارة في عمائم الحرير و كذلك أطيب أنواع العطور ،لقد مكنت حرفة التجارة للمؤرخ ابن العطار من التردد أثناء زيارته لتونس على جامع الزيتونة المعمور و الاستفادة من حلقات الدروس التي كانت تلقى فيه على وجه الخصوص حلقات العلوم الشرعية و الغوية [2]

محمد الخنقي :هو العالم الشيخ محمد الخنقي و فد هذا الفضيل إلى القيروان و اتخذها دار التبركات بآثار الصحابة و التابعين رضي الله عنهم ، كان عالما و صالحا ، مثابرا على نفع الناس بالعلم ابتغاء وجه الله و اخذ عن الشيخ العدوي بمصر و غيره من مصابيح الأزهر و تردى إلى القيروان بالعفة و الوقار و السكينة و دخل قلوب أهلها

[1] كوثر العايب :مرجع سابق ،ص95 56.

[2] أحمد بن مبارك العطار : مرجع سابق ،ص4 5.

المكانة السكينة و لم يزل معتقدا منتفعا به إلى أن توفي في سنة 1748و دفن في تراب القيروان [1].

ثانيا :علماء تونس المتتلمذين في قسنطينة .

محمد تاج العارفين :هو محمد تاج العارفين بن احمد البكري العثماني (1628)من أوائل من تولى الإمامة بجامع الزيتونة من بيت البكرين و قد ظلت الإمامة حكرا عليهم مدة مئة و ثلاثة و سبعون حيث تلقى الشيخ تعليمه على عدد غزير من العلماء منهم الشيخ عيسى الثعالبي .

ابن برنار:هو احمد بن مصطفى برنار هو اكبر فقهاء المذهب الحنفي جاء من تونس بعد عودته من الحج نزل بعنابة و اخذ عن شيخها ، احمد بن سياسي و مفتحيها الشيخ الصدقي ،قصد قسنطينة و اخذ عن مفتيها الشيخ علي الكماد و بعدها توجه إلى الجزائر [2] .

محمد زيتونة التونسي :هو أبو عبد الله محمد زيتونة لقب بمستجمع العلوم و المعارف ولد بمدينة المستير [3]سنة 1671مكث بالقيروان لمدة ثلاث سنوات تفقه بها ، تعلم بجامع الزيتونة أدى فريضة الحج سنة 1713جاء للجزائر تولى القضاء الحنفي في فترة حكم الداي شعبان خوجة [4].

---

[1] احمد بن أبي ضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار و ملوك تونس في عهد الأمان ، الدار العربية للكتاب ، تونس 1999،ص20.

[2] كوثر العايب :مرجع سابق ،ص97.

[3] المستير :مدينة تونسية واقعة على شبه رأس صخري بين خليجين يشرف عليها الرباط و المستير لفظ يوناني معناه محل التعبد المنفرد و هو الرباط بإحدى معانيه .انظر : عثمان عكاك :مرجع سابق ،ص119.

[4] حصام صورية :مرجع سابق ،ص120 121.

المطلب الثاني : الطرق الصوفية و دورها في توثيق العلاقة بين البلدين .

التصوف :هو علم من العلوم الإسلامية و هو في حقيقة أمره روح الإسلام و جوهره لأنه ينظف القلب و يطهر و هو تحرير للجسد و نبذ الدنيا و هجر لذاتها و الخشوع إلى الله بنية الإخلاص، يقول الإمام مالك عن التصوف " من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق و من تتفقه و لم يتصوف فقد تفسق و من جمع بينهما فقد تحقق [1].

من أبرز ما تميز به القرن التاسع هجري في الجزائر ظهور عقيدة المرابط و إنشاء الزوايا و افتتاح عهد التصوف خصوصا العلمي ، هذه الظاهرة تزداد إنشاء في القرون الثلاثة للعهود العثمانية ، ولعل وجود هذه الظاهرة كان يعود بالدرجة الأولى إلى ضعف الدولة أمام انحلال الداخلي و الخطر الخارجي حيث ازدهرت العلوم الدينية لاسيما في الشرق الجزائري لصلته بالدولة الحفصية و تخلف المتأولين و تركوا مكانتهم للمتصوفين و تعايش الفقهاء و المتصوفة فترة لان معظم علماء كانوا يجمعون بين الحقيقة و الشريعة و بين علوم أهل الظاهر و علوم أهل الباطن و كانوا في نفس الوقت متمكنين من أمور الدين كما كانوا غير مبالين إلى الجدل الذي هو أساس الفلسفة و طريق الاجتهاد و عندما ضعف هذا الروح عند العلماء ساد التصوف [2].

أما في تونس فقد انتشرت انتشارا كبيرا حيث كانت تونس معبر للعائدين من المشرق و الذاهبين إليه ، من حجيج و تجار و طلبة علم تونسيين و كانوا جزائريين و مغاربة و أندلسيين مما أهلها لان تواكب الحركة الدينية في مختلف أطوارها،من هذا المطلق عرفت تونس التصوف و هو لا يزال في مرحلته الأولى المتمثلة في الزهد وورع تمثل في أفراد معنيين فانه لم يلبث مذهبا قائما على أركان مدعمة بنصوص مؤولة من القرآن

[1] صلاح مؤيد :مرجع سابق ،ص8 11.

[2] ابوالقاسم سعد الله :تاريخ ج ثقافي ،مرجع سابق ،ص48.

فقد لعبت السلطة السياسية كالدولة الحفصية دور كبير في تشجع انتشارها و ذلك خشية نفوذها ،كما زاد تشجيعها في العهد العثماني بصفة خاصة ، حيث كثر بناء الزوايا وتحسين العقارات كما استمر ذلك إلى عهد الحسينيين الذين اعترفوا بها قانونيا و تم وضعها إداريا تحت إشراف رئيس عام يسمى شيخ مشايخ طريقة ما ، ومن مظاهر اعتراف الحسنين بالطرق و تقديرهم لمشايخها أن حمودا باشا كان من أتباع الطريقة القادرية و المساهمين في بناء زاويتها [1].

فقد كان الشرق الجزائري يحمل عدد كبير من المنتمين إلى الطرق الرحمانية 67139 بنسبة 6.45% من عدد سكان الشرق الجزائري و المنتمين إلى الطيبية 15645بنسبة 1.5%و المنتمين إلى القادرية 8342بنسبة 0.8%و التجانية 4952 بنسبة 0.47% و الحنصالية 1172بنسبة 0.11%أي بنسبة 9.33% من السكان هم منتمون إلى هذه الطرق وغيرها كانوا منتمون إلى طرق أخرى ، حيث كان للرحمانية وجود قوي في البلدين تونس و الجزائر و كان في الزاوية الرحمانية في الكاف حوالي 900 منتمي و 32مقدما و في سوق أهراس وحدها 18مقدما كانوا يقدمون الدعم من طرف فروع تونسية و تأتي القادرية في المرتبة الثانية من حيث النفوذ في منطقة الكاف لما لها من 366منتمي و 6 مقدمين [2].

فقد لعبت الطرق الصوفية دورا فعالا في تولد الصلات الروحية بين سكان المغرب العربي عامة و بين سكان الايلتين على وجه الخصوص زادت في توطيد الاتجاه الوحدوي

[1] التليلي العجيلي : الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية (1881 1939)، منشورات كلية الأدب ، تونس ،1992،ص27 29.

[2] اعمراوي أحميدة :علاقة بايلك ..،مرجع سابق ،ص34.

للمنطقة فالرابطة الروحية و الدينية قديمة بين الجزائر و تونس ترجع إلى ما قبل القرن الثامن عشر ووجدت شواهد على الرابطة القائمة روحيا بين المجتمعين [1].

فقد ظهرت طرق صوفية كانت في الجزائر ثم انتقلت إلى تونس و هما الرحمانية و التجانية [2].

الطريقة الرحمانية: تعرف على أنها فرع من فروع الطريقة الأم الخلوتية و تنسب في الجزائر إلى مؤسسها عبد الرحمان القشتولي الجزائري ، أسس في مسقط رأسه زاوية قام فيها بنشر العلم والسلوك الصوفي فذاع صيته وورد إلي المنتمون من كافة أنحاء الجزائر و تونس و المغرب [3]،

الطريقة التجانية : أسسها الشيخ أبو العباس احمد بن المختار بن أحمد التجاني نسبة إلى قبيلة بني توحيد التي استقرت في عين ماضي [4].

كما توجد هنا بعض الطرق التي ظهرت في تونس و انتقلت إلى الجزائر و منها الطريقة الشابية التي كان لها دور بارز في أحداث تونس و الشرق الجزائري حيث قدم المسعود الشابي و هو أحد تابعي الطريقة الشابية إلى واد سوف اثر سماعه بضلال أهلها و بعدهم عن الحق فقدم إليهم من اجل إخراجهم من ظلمات الباطل إلى النور ، كذلك الطريقة الدرقاوية و الطريقة الطيبية و الزيانية التي انتشرت في كل المناطق الشرقية بالجزائر و المناطق التونسية كالكاف و نفطة ، وقد لعبت هذه الطرق دورا هاما في تمتين الأخوة بين الشعبين [5].

---

[1] حصام صورية :مرجع سابق ،ص123.

[2] كوثر العايب : مرجع سابق ،ص 106.

[3] أبو القسم سعد الله : مرجع سابق ،ص515.

[4] صلاح مؤيد : مرجع سابق ،ص 185.

[5] كوثر العايب : مرجع سابق،ص 108.

خـــاتمـــة

خاتمة

ما يمكن استنتاجه من موضوع العلاقة بين بايلك الشرق و بايات تونس أن :

إقليم قسنطينة يتميز عن غيره من الأقاليم بالاتساع و التنوع من الناحية الطبيعية فهي تشتمل على الرقعة التي تمتد من البحر الأبيض شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا و من القبائل غربا إلى الحدود التونسية شرقا ، كما تتميز بتنوع في المناخ و الغطاء النباتي بالإضافة إلى احتوائه على مزيج من السكان .

كانت الحياة السياسية في بايلك الشرق تتأرجح بين فترات تمتعت بها بالسلم و فترات عانت فيها بمشاكل داخلية تمثلت في تمردات القبائل على السلطة كثورة ابن الأحرش و ابن الصخري و غيرها و منها من كانت خارجية و تمثلت في حروبها مع الإيالة التونسية ، أما الجانب الاقتصادي فقد كان منتعشا حيث كان بايلك الشرق يشمل الكثير من الأراضي الخصبة و الشاسعة ، كما عرفت قسنطينة بالصناعة و تميزت بها عن غيرها ، غير أن الأوضاع الاجتماعية كانت متدهورة بعض الشيء فقد كانت قسنطينة تعاني من الكثير من الأمراض و الأوبئة .

في المقابل كانت تونس هي كذلك تعاني من مشاكل سياسية داخل البيت الحاكم الذي توالت المشاكل فيه داخل الأسرة الحسينية ،غير أنها عرفت انتعاشا في الجانب الاقتصادي خاصة في الزراعة و كان ذلك بسبب قدوم الأندلسيين الذين عملوا على تطويرها ، و انتعشت الصناعة خاصة الصناعة التقليدية فقد عمل حمودا على تشجيعها و تشجيع التجارة بكل أنواعها الداخيلة و الخارجية

أما بالنسبة للوضع الاجتماعي فقد مر بمراحل شهدت فيها تونس تدهور بسبب الأمراض و الأوبئة و فترات مرت بالانتعاش و التحسن و يرجع ذلك إلى قلة الحروب و تطور النشاط الاقتصادي ، هذا ما اثر إيجابا على الوضع الثقافي ، فقد أولى البايات الحسينيون اهتماما كبيرا بالعلم و العلماء.

خاتمة

كما يمكن القول بأن تونس والشرق الجزائري كانت تربطه علاقة اقتصادية فتونس كانت من أقرب الأسواق الخارجية للشرق الجزائري لذلك كانت تحدث بين هذين البلدين مبادلات تجارية لاقت فيها منتجاتهم شعبية كبيرة بين أواسط المجتمعين .

أما العلاقة السياسية فقد اتصفت في مجملها بالعداوة في فترات كثيرة من تاريخ الإيالتين، فمشكلة الحدود تعتبر اكبر مشكلة واجهت المنطقتين، كذلك تدخلات بايات قسنطينة في الشؤون الداخلية لتونس كان سببا في إشعال نار الفتنة في كثير من الأحيان، غير أن هناك فترات اتسمت فيها العلاقة بالسلم و الهدوء و تمثل ذلك في التحالفات التي كانت بين الحكام في تأديب القبائل المتمردة.

ولا يمكن إهمال الجانب الاجتماعي والثقافي فالعلاقة الاجتماعية اتسمت فقد كان رابط الدم أقوى الروابط التي جمعت شمل البلدين وتجسدت في المصاهرة التي كانت تحدث بين الطرفين بالإضافة إلى الهجرات المتبادلة فقد كانت كل من مدينة الكاف ووادي سوف مقرا للمهاجرين من كلا المقاطعتين، أما الجانب الثقافي فقد لعب العلماء دور كبير في توطيد العلاقة بين البلدين فقد كانت الزيارات المتبادلة بين علماء تونس وقسنطينة سبب في توثيق العلاقة، كما لعبت الطرق الصوفية دور كبير

في الأخير يمكن القول أن العلاقة بين بايلك الشرق و تونس اتسمت بالعداوة بين حكامها فقط بينما الشعبين عارضا هذا الخلاف و لم يتقبلاه، فهذه العداوة لم تؤثر على العلاقة بينهما و التي تمثلت في العلاقة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية.

الملاحق

الملحق رقم1: خريطة توضح أهم الطرق والمسالك التجارية الرابطة بين الشرق الجزائري وتونس.

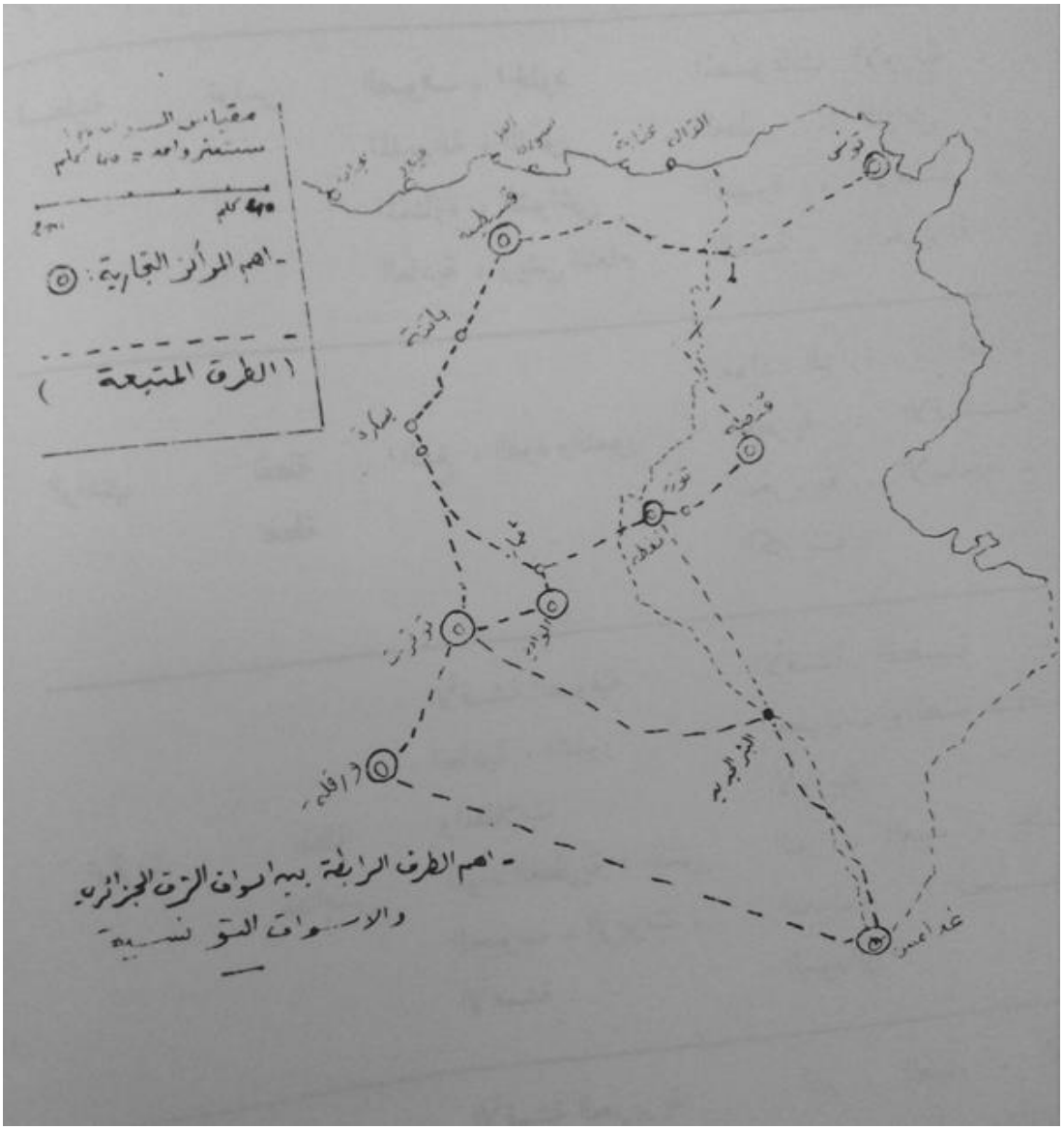

العربي الزبيري: التجارة الخارجية، مرجع سابق ص158.

الملحق رقم 2: جدول يمثل أهم عمليات التصدير والتوريد التي كانت تتم بين الشرق الجزائري والأسواق التونسية

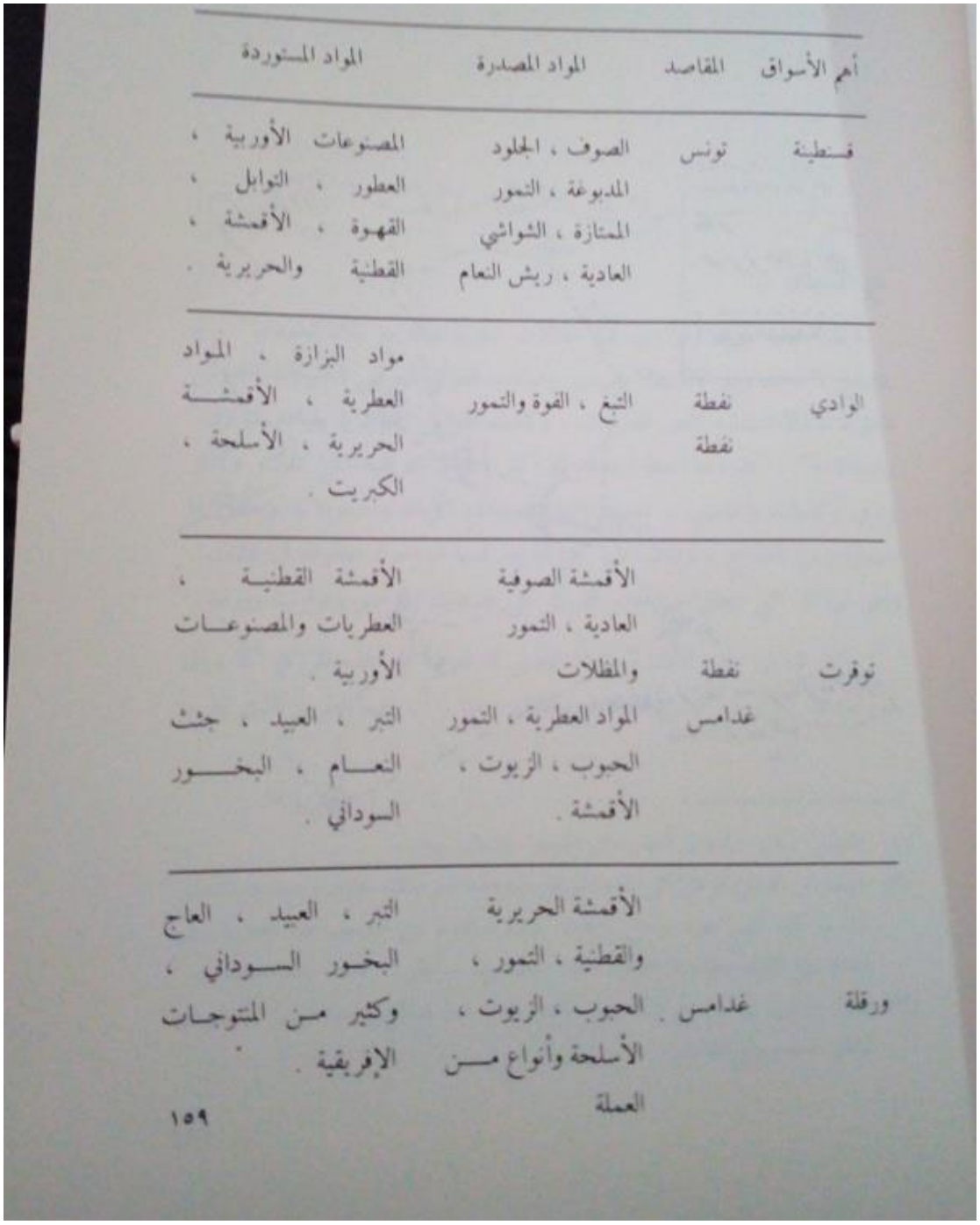

أهم الأسواق	المقاصد	المواد المصدرة	المواد المستوردة
قسنطينة	تونس	الصوف ، الجلود المدبوغة ، التمور الممتازة ، الشواشي العادية ، ريش النعام	المصنوعات الأوربية ، العطور ، التوابل ، القهوة ، الأقمشة القطنية والحريرية .
الوادي	نفطة نفطة	التبغ ، القوة والتمور	مواد البزازة ، المواد العطرية ، الأقمشة الحريرية ، الأسلحة ، الكبريت .
توقرت	نفطة غدامس	الأقمشة الصوفية العادية ، التمور والمفلات المواد العطرية ، التمور الحبوب ، الزيوت ، الأقمشة .	الأقمشة القطنية ، العطريات والمصنوعات الأوربية . التبر ، العبيد ، جثث النعام ، البخور السوداني .
ورقلة	غدامس .	الأقمشة الحريرية والقطنية ، التمور ، الحبوب ، الزيوت ، الأسلحة وأنواع من العملة	التبر ، العبيد ، العاج البخور السوداني ، وكثير من المنتوجات الإفريقية .

١٥٩

العربي الزبيري: التجارة الخارجية، مرجع سابق، ص158.

الملحق رقم 3: نص إتفاقية ضبط الحدود بين الإيالتين الجزائرية والتونسية عام 1626م.

أولا : يبقى مجرى واد الصراط هو الحد الفاصل بين البلدين في المناطق الجنوبية

ثانيا : يقوم التونسيون بتهديم المراكز العسكرية التي أسسوها في المناطق المنازع عليها .

ثالثا : يتواصل تحديد الحدود هكذا بين البلدين من وادي ملاق ابتداء من نقطة الأحيرش إلى الكرش فقلوب الثيران و رأس جبل الحافة ومن هناك إلى البحر.

رابعا: الذين يعبرون الحدود من كلا البلدين ،لا يتم الإعلان عنهم من طرف الدولة ،ويعتبرون متخلين عن بلدهم ويعتبرون من اختصاص البلد الذين اختاروا الاستقرار فيه .

محمد الصالح بن العنتري: فريدة منسية...، مرجع سابق، ص49.

الملحق رقم4:خريطة تونس

حصام صورية: مرجع سابق، ص224.

قائمة المصادر والمراجع

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع

أ / المصادر.

ابن العنتري محمد الصالح: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على_أوطانها أو تارخ قسنطينة، مر و تح: يحيى بوعزيز ، ط2 ،دار هومة ، الجزائر،2007.

ابن العنتري محمد الصالح: مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1974 .

ابن دينار (أبو عبد الله القيرواني):المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس ، ط1، مطبعة الدولة التونسية ،تونس ، 1982.

ابن عودة المزاري :طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا وفرنسا في أواخر_القرن19، تح : يحيى بوعزيز، ط2،دار البصائر للنشر و التوزيع ، الجزائر،2008.

ابن ميمون محمد الجزائري : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ،تق و تع:محمد بن عبد الكريم ، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1981.

احمد بن أبي ضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار و ملوك تونس و عهد الأمان ،مج2،دار العربية للكتاب ،تونس ، 1992.

بن مبارك احمد العطار :تاريخ قسنطينة ،تح: رابح بونار ،دن د، دب ن،دت.

الزهار احمد الشريف :مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار– نقيب أشراف الجزائر –، تح : احمد توفيق المدني ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1974.

فايست أوجين :تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792-1873)،تح:صالح نور ،تق :الشيخ عبد الرحمان شابان ، دار قرطبة ، الجزائر ،2010.

الوزان الفاسي الحسن بن محمد :وصف إفريقيا ،تر:محمد حجي و محمد الأخضر ،ط2.دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،لبنان ،1983.

ب / المراجع

1.الكتب باللغة العربية

اعمراوي أحميدة :دور حمدان خوجة في تطوير القضية الجزائرية (1830- 1827)،دار العثمانية،الجزائر،2012.

اعمراوي أحميدة :علاقة بايلك الشرق بتونس أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال ،دار البعث ،الجزائر ،2002.

الإمام رشاد :سياسة حمودا باشا في تونس (1782-1814) ، السلسلة الرابعة ، تاريخ المنشورات الجامعية ،تونس ،1980.

بوحوش عمار ،التاريخ السياسي للجزائر من البداية و إلى غاية 1962،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1997.

بوضرساية بوعزة :الحاج احمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم (1830-1848)،دار الحكمة ، الجزائر ، 2010.

التميمي عبد الجليل :تأثيرات الموركسيين الأندلسيين على المجتمعات المغاربة العهد الحديث و المعاصر، المجلة التاريخية و المغربية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات عدد 120،تونس ، 2005.

جوليان شارل أندري : تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس ،الجزائر ،المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830،تح :محمد مزالي ، الدار التونسية ، تونس، 1938.

حسني عبد الوهاب :خلاصة تاريخ تونس ،الدار التونسية للنشر ،تونس ،1983.

دحدوح عبد القادر :المعالم الأثرية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ،ج1،منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ،الجزائر ،2015.

دحدوح عبد القادر :تاريخ و أثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ،الجزائر ،2015.

الزبيري محمد العربي :التجارة الخارجية للشرق الجزائري في فترة ما بين (1830-1792)،ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984.

الزبيري محمد العربي :مدخل إلى تاريخ المغرب العربي ،مطابع المؤسسة الجزائرية ، الجزائر ،1975.

الزميلي الصادق :أعلام تونسيون ، تق :حمادى الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1976.

سعد الله أبو القاسم :تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)،ج1،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،دس.

سعدوني نصر الدين :الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر ،تونس ،طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري و من القرن السادس_عشر و حتى التاسع عشر ميلادي ،مجلس النشر العلمي ،الكويت ،2010.

———— ، ———— :الشرق الجزائري –بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني و بداية الاحتلال_الفرنسي ،البصائر ،الجزائر ،2013.

———— ، ———— :ورقات جزائرية –دراسة و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،2000.

الشريف محمد الهادي :تاريخ تونس ،دار سارس ،للنشر ،ط3،تونس ،1993.

صيد عبد الحليم :أبحاث في تاريخ الزيبان بسكرة ،جامع الكتاب ،وادي سوف ، الجزائر ،2000.

عبد الحميد سعد زغلول :تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال (ليبيا ،تونس ،الجزائر ،المغرب) – منشاة المعارف ،بيروت ، 1999.

عبيد عاطف :قصة و تاريخ الحضارة العربية_،(الجزائر ،تونس)،دن د،بيروت ،1999.

عبيد مصطفى :محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث_،كلية العلوم الإنسانية ،جامعة لمسيلة ، الجزائر ،دت .

العجيلي التليلي ، الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1934–1881)، منشورات كلية الأدب ، تونس ،1992.

عزيز سامح :الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ،تر:عبد السلام ادهم ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1969.

عمار عمورة : الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى 1962) الجزائر عامة ،دار المعرفة ،ج1،الجزائر ،دت .

فركوس صالح : الحاج احمد باي قسنطينة (1766-1850)،ديوان المطبوعات ، الجزائر ،دت .

فندلين شلوصر :قسنطينة ايام احمد باي 1832-1837، ترو تق :ابو العيد دودو ،وزارة الثقافة ،2007

الكعاك عثمان :الرحلة الشابية 1966،تح:محمد رؤوف بلحسن ، مطبعة التشفير الفني ، تونس ،2009.

محمد جوهر حسن :شعوب العالم ،تونس ،دار المعارف ،مصر ،1981.

المؤدن عبد الرحمان و عبد الرحيم بنجارة ، العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية و_المتوسطية ،ط2 ،منشورات كلية الأدبية و العلوم الإنسانية ،الرباط ،2005.

نور الدين عبد القادر :صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ،دار الحضارة ،بئر التوتة ، الجزائر ،2006.

هلايلي حنفي :أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،دار الهدى ،الجزائر ،2007.

يحياوي جمال :تاريخ قسنطينة من خلال مجلة الأصالة –أحداث و أماكن بالشرق الجزائري ،ج1،منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ،الجزائر ،2015.

2 / الكتب باللغة الأجنبية

Abdeljalil Temimi: le beylik de Constantine hadj Ahmed 1830-1837،publication de la rêve d' histoire maghrébine –vol-1-1971.

3 / المقالات

بودرة حياة :انعكاسات سياسة الاستيطان على السكان ريف ميلة ، **مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات** ،عدد5،المركز الجامعي ، عبد الحفيظ بوصوف،ميلة ، الجزائر ،2017

طالبي محمد :، عدد خاص في تاريخ إفريقيا ، **دائرة المعارف التونسية** ،المجمع التونسي للعلوم و الأدب و الفنون ،بيت الحكمة ، تونس ،1994.

عائشة غطاس :الوضع الصحي في الجزائر خلال العهد العثماني ،**مجلة الثقافة** ،العدد 76، 1983.

عبد الجليل التميمي : تأثيرات الموركسين الأندلسيين على المجتمعات المغاربة –العهد الحديث و المعاصر – **المجلة التاريخية المغاربية** ،مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ،العدد 120،تونس ،جوان 2005،

4 /المعاجم و الموسوعات

الخطيب عبد الكريم مصطفى:معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت ،1996 .

صلبان سهيل : المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ،2000.

نويهض عادل :معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام و حتى الوقت المعاصر ، مؤسسة نويهض الثقافية ،لبنان ،1970.

5 / الرسائل الجامعية

بولحبال رياض ، أخبار بلد قسنطينة و حكامها (دراسة و تحقيق)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العليا ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة قسنطينة ،الجزائر ،2009.

حصام صورية :العلاقات بين إيالتي الجزائر و تونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ،جامعة وهران ، الجزائر ،2013.

سعودي يمينة :الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية_، أطروحة لنيل شهادة ماجستير في الأدب الجزائري القديم ، جامعة الجزائر ،2005 .

عبد الحفيظ موسم :الحركة اليوسفية و الثورة التحريرية الجزائرية ،اطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، 2015-2016.

غطاس عائشة : الحرف و الحرفين بمدينة الجزائر -1700-1800،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر ،2001.

القشاعي فلة :النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1837-1771)،أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر ،1996.

قشوان عبد الرزاق : السلطة المحلية في بايلك قسنطينة ،مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ،2009.

كوثر العايب :العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711-1830)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،تخصص تاريخ الحديث و المعاصر ،كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، جامعة الوادي ،الجزائر 2013-2014.

فهرس الموضوعات

شكر و تقدير

مقدمة .....أ

قائمة المختصرات ...../

الفصل الأول :لمحة عامة عن بايلك الشرق أواخر العهد العثماني ص07

المبحث الأول : لمحة جغرافية عن بايلك الشرق ص08

المطلب الأول :الوقع الجغرافي لبايلك الشرق ص08

المطلب الثاني :المناخ السائد في بايلك الشرق ص09

المطلب الثالث : التركيبة السكانية لبايلك الشرق ص10

المبحث الثاني :الأوضاع العامة لبايلك الشرق ص13

المطلب الأول :الأوضاع السياسي لبايلك الشرق ص13

المطلب الثاني :الأوضاع الاقتصادي لبايلك الشرق ص21

المطلب الثالث :الأوضاع الاجتماعي لبايلك الشرق ص26

المطلب الرابع :الأوضاع الثقافي لبايلك الشرق **ص28**

الفصل الثاني :لمحة عامة عن تونس أواخر العهد العثماني ص32

المبحث الأول : جغرافية تونس و سكانها ص33

المطلب الأول :الموقع و الامتداد الجغرافي ص33

المطلب الثاني :التركيبة السكانية ص34

المبحث الثاني :الأوضاع العامة لتونس أواخر العهد العثماني ص37

المطلب الأول :الأوضاع السياسية ص37

المطلب الثاني :الأوضاع الاقتصادية ص40

المطلب الثالث :الأوضاع الاجتماعية.....ص42

المطلب الرابع : الأوضاع الثقافية ص44

الفصل الثالث : العلاقة الاقتصادية و السياسية بين بايلك الشرق وبايات تونس اواخر العهد العثماني ص47

المبحث الأول :العلاقة الاقتصادية بين بايلك الشرق و تونس ص48

المطلب الأول :المبادلات التجارية ص48

المطلب الثاني :الوسائل و الطرق التجارية الرابطة بين الشرق الجزائري و تونس. ص52

المبحث الثاني :العلاقة الساسية بين بايلك الشرق و تونس ص57

المطلب الأول :مشكلة الحدود بين الشرق القسنطيني و الغرب التونسي ص57

المطلب الثاني :مظاهر التوتر بين الشرق الجزائري و تونس ص59

المطلب الثالث :مظاهر السلم بين الشرق الجزائري و تونس ص67

الفصل الرابع :العلاقة الاجتماعية و الثقافية بين بايلك الشرق و تونس اواخر العهد العثماني ص69

المبحث الأول :العلاقة الاجتماعية بين بايلك الشرق و تونس ص70

المطلب الأول :الروابط المشتركة بين الشرق الجزائري و تونس ص70

المطلب الثاني :القبائل الحدودية و دورها في رسم العلاقة بين البلدين ص71

المطلب الثالث : الهجرة و دورها في رسم واقع العلاقة بين البلدين ص74

المبحث الثاني :العلاقة الثقافية بين بايلك الشرق ص76

المطلب الأول :الزيارات المتبادلة بين علماء تونس وقسنطينة ص76

المطلب الثاني :الطرق الصوفية و دورها في توثيق العلاقة بين البلدين.....ص81

خاتمة ص84

الملاحق ص85

البيبليوغرافيا ص92

الفهارس ص100